الصراعات الشعبية واستقطاب النخَب: جيش النوير الأبيض في الحرب الأهلية لجنوب السودان

إعداد: جون يونغ

NORWEGIAN MINISTRY OF FOREIGN AFFAIRS
MINISTRY OF FOREIGN AFFAIRS OF DENMARK
DEPARTMENT OF STATE · UNITED STATES OF AMERICA ·

حقوق التأليف والنشر

نُشِر في سويسرا ضمن مشروع مسح الأسلحة الصغيرة.

© مشروع مسح الأسلحة الصغيرة، المعهد العالي للدراسات الدولية والانمائية جنيف، ٢٠١٦.
نُشِر لأول مرة في يوليو ٢٠١٦.
الترجمة باللغة العربية ديسمبر ٢٠١٦

جميع الحقوق محفوظة؛ ولا يسمح باقتباس أو إستنساخ أي جزء من هذه الاصدارة او تخزينها في نظام إسترجاع المعلومات، أو نقلها في أي شكل من الأشكال وبأي وسيلة دون الحصول على الموافقة الخطية المسبقة من مشروع مسح الأسلحة الصغيرة، أو وفقاً لما يجيزه القانون ذي الصلة بشكل معلن، أو بموجب الشروط المتفق عليها مع دار النشر صاحبة حقوق الطباعة والنشر. وينبغي إرسال أية استفسارات تتعلق بإعادة إنتاج خارج نطاق ما ورد أعلاه، – ولا تغطيها الشروط سالفة الذكر– إلى مدير المطبوعات، مشروع مسح الأسلحة الصغيرة، وذلك إلى العنوان التالي:

مشروع مسح الأسلحة الصغيرة
المعهد العالي للدراسات الدولية والإنمائية
Small Arms Survey
Graduate Institute of International and Development Studies Maison de la Paix, Chemin Eugène-Rigot 2E,
١٢٠٢، جنيف، سويسرا.

مُحرِّر سلسلة المنشورات: إيميل لبرن
المُحرِّر: أليكس بوتر (alex.potter@mweb.co.za)
تصميم بخط Axt Manal وخط Myriad Pro :واتق زيدان (watheqz@gmail.com)
الناشر في جنيف، سويسرا: إن بي ميديا.

ISNB: 978-2-940548-36-1

المحتويات

تعريف بمشروع مسح الأسلحة الصغيرة ٥

التقييم الأساسي للأمن البشري ٦

الموارد المتاحة عبر الإنترنت ٧

قائمة بالاختصارات ١٠

نبذة عن المؤلف ١٧

شكر وتقدير ١٧

أولاً: تقديم ونتائج أساسية ١٨

ثانياً: خلفية ١٩

ثالثاً: الحرب الأهلية في ديسمبر ٢٠١٣ ..... ٢٢

رابعاً: السُّلطة والتراتبية في الجيش الأبيض ٢٥

خامساً: تغيرات طرأت على الجيش الأبيض ٢٥

سادساً: الجرائم ضد المدنيين ٢٨

سابعاً: الجيش الأبيض في ساحة المعركة ٣٦

ثامناً: المستقبل ٣٦

تاسعاً: الخاتمة ٣٧

المراجع ٤٢

التعليقات الختامية ٤٢

تعريف بمشروع مسح الأسلحة الصغيرة

يمثّل مشروع مسح الأسلحة الصغيرة مركزاً عالمياً مرموقاً، مهمّته توليد المعارف المحايدة المستندة إلى الأدلة والمعارف السياسية ذات الصلة بجميع جوانب الأسلحة الصغيرة والعنف المسلح. ويُعتبر المشروع المصدر الدولي الرئيسي للخبرات والمعلومات والتحليل بشأن الأسلحة الصغيرة وقضايا العنف المسلح، ويشكل مصدراً للحكومات وواضعي السياسات والباحثين وغيرهم من أصحاب المصلحة. ويقع مقره في جنيف، سويسرا، في المعهد العالي للدراسات الدولية والانمائية.

مشروع مسح الأسلحة الصغيرة،
Maison de la Paix Chemin
Eugène-Rigot 2E
Geneva Switzerland 1202

الهاتف: ٥٧٧٧ ٩٠٨ ٢٢ ٤١+
الفاكس: ٢٧٣٨ ٧٣٢ ٢٢ ٤١+
البريد الإلكتروني: sas@smallarmssurvey.org
الموقع الإلكتروني: www.smallarmssurvey.org

مشروع التقييم الأساسي للأمن البشري (HSBA)

مشروع التقييم الأساسي للأمن البشري (HSBA) في السودان وجنوب السودان هو مشروع بحثي ممتد زمنياً لسنوات عديدة، تحت إدارة مشروع مسح الأسلحة الصغيرة البحثي المستقل التابع للمعهد العالي للدراسات الدولية والتنمية. وتم تطوير مشروع التقييم الأساسي للأمن البشري في تعاون مع الحكومة الكندية وبعثة الأمم المتحدة في السودان، وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي والجهات الشريكة غير الحكومية. ومن خلال الإنتاج والنشر النشطين للبحوث الميدانية، يدعم هذا المشروع المبادرات الرامية للحد من العنف، بما في ذلك برامج نزع السلاح والتسريح وإعادة الإدماج والخطط التحفيزية لعمليات تجميع الأسلحة من المدنيين، إلى جانب إصلاح قطاع الأمن والتدخلات الموجهة لمكافحة تسريب الأسلحة عبر السودان وجنوب السودان. ويقدم المشروع إرشادات بخصوص السياسات المتبعة لمواجهة إنعدام الأمن.

ويقدم مشروع التقييم الأساسي للأمن البشري أوراق عمل مصممة بحيث تقدم تحليلاً عميقاً حول القضايا المتعلقة بالأمن. كما يقدم أيضاً ملخصات أصغر للموضوعات تحتوي على المعلومات الأساسية بصيغة سهلة القراءة، وفي الوقت المناسب. وورقة العمل والملخص الموجز كلاهما متوفران باللغتين العربية والإنكليزية على: www.smallarmssurveysudan.org

ويمكن الاطلاع على تقارير "حقائق وأرقام"، التي تُلقِي الضوء على أبرز الموضوعات المرتبطة بالأمن على الرابط التالي:
www.smallarmssurveysudan.org/facts-figures.php.

يتلقى مشروع التقييم الأساسي للأمن البشري دعماً مالياً مباشراً من وزارة الخارجية الأمريكية ووزارة الشؤون الخارجية الدنماركية ووزارة الخارجية النرويجية إلى جانب المعهد الأمريكي للسلام. وقد حصل المشروع أيضاً على الدعم في السابق من صندوق السلام والأمن العالميين، التابع لوزارة الشؤون الخارجية والتجارة الدولية بكندا، ومن وزارة الخارجية الهولندية، ومن الصندوق المعني بمنع الصراعات الدولية التابع لحكومة المملكة المتحدة، فضلاً عن المجموعة الدنماركية المعنية بإزالة الألغام، وصندوق المنح الوطنية من أجل الديموقراطية. ويتلقى مشروع مسح الاسلحة الصغيرة دعماً إضافياً من سويسرا، والذي لولاه لما تم الإضطلاع بمشروع التقييم الأساسي للأمن البشري على نحو فعال.

لمزيد من المعلومات أو لإرسال آرائكم واستفساراتكم، يُرجى التواصل معنا على العنوان التالي:

كريستفور كالسن، منسق مشروع التقييم الأساسي للأمن البشري في السودان وجنوب السودان،
مشروع مسح الأسلحة الصغيرة،
Maison de la Paix
Chemin Eugène-Rigot 2E

الهاتف: ٥٧٧٧ ٩٠٨ ٢٢ ٤١+

الفاكس: ٢٧٣٨ ٧٣٢ ٢٢ ٤١+

البريد الإلكتروني: Khristopher.Carlson@smallarmssurvey.org

الموارد المتاحة عبر الإنترنت

يمكن تحميل معظم منشورات مشروع مسح الأسلحة الصغيرة مجانًا من موقعنا الإلكتروني: www.smallarmssurvey.org/publications.

والكثير من منشورات مشروع مسح الأسلحة الصغيرة متوفرة بعدة لغات، غير اللغة الإنجليزية، عبر الرابط التالي: www.smallarmssurvey.org/languages.

ثمة مجموعة من الأدوات متاحة عبر الإنترنت، ويمكن استخدامها في المجالات المرتبطة بالأسلحة الصغيرة والعنف المسلح؛ منها أدوات التعرف على الأسلحة وتتبُّع المصادر والخرائط الزاخرة بالبيانات والأدلة الإرشادية التفاعلية، وهي متوفرة على الرابط التالي: www.smallarmssurvey.org/tools.

يمكنكم تلقِّي تحديثات عبر البريد الإلكتروني فيما يتعلق بالمنشورات والأخبار الخاصة بنا، بالاشتراك في خدمات الإشعارات الإلكترونية عبر الرابط التالي: www.smallarmssurvey.org/eAlerts.

يمكنكم متابعة مشروع مسح الأسلحة الصغيرة على مواقع التواصل الاجتماعي عبر الروابط التالية:

www.facebook.com/SmallArmsSurvey

www.twitter.com/SmallArmsSurvey

www.smallarmssurvey.org/podcasts

يسُرُّنا معرفة آرائكم

نحن حريصون على تلقِّي آرائكم فيما يتعلق بكيفية استخدام الأبحاث التي يوفرها مشروع مسح الأسلحة الصغيرة، وكيفية تحسين منشوراتنا ومواردنا الأخرى. يُرجى تعبئة الاستبيان المختصر المتاح على الرابط التالي:
www.smallarmssurvey.org/feedback.

ويمكن إرسال تعليقاتكم ومقترحاتكم على البريد الإلكتروني التالي:
feedback@smallarmssurvey.org

الأيقونات من تصميم فريبيك: www.flaticon.com

المختصرات والأسماء المختصرة

ARCSS	اتفاق لحَلِّ النزاع في جنوب السودان
AU	الاتحاد الأفريقي
CoISS	لجنة التحقيق في جنوب السودان (الاتحاد الأفريقي)
CPA	اتفاق السلام الشامل
IGAD	الهيئة الحكومية الدولية المعنية بالتنمية
PoC	حماية المدنيين
SAF	القوات المسلحة السودانية
SPLA	الجيش الشعبي لتحرير السودان
SPLM	الحركة الشعبية لتحرير السودان
SPLM-IO	الحركة الشعبية لتحرير السودان – جناح المُعارَضة
SSDF	قوات دفاع جنوب السودان
TPLF	جبهة تحرير شعب تيغراي
UNMISS	بعثة الأمم المتحدة في جمهورية جنوب السودان

نُبذة عن المؤلف

جون يونغ مواطن كندي من حملة درجة الدكتوراه في العلوم السياسية؛ عمل في القرن الأفريقي منذ عام ١٩٨٦ أستاذًا وصحفيًّا، ومُراقِبَاً في بعثة سلام، ومستشاراً وأكاديميًّا. نشر جون يونغ كتابين: أولهما بعنوان "ثورة المزارعين في إثيوبيا: جبهة تحرير شعب تيغراي بين عامي ١٩٧٥ و١٩٩١" (دار نشر جامعة كامبريدج، ١٩٩٧)، والآخر بعنوان "مصير السودان: جذور وعواقب عملية سلام مَعيبة" (زد للكتب، ٢٠١٢)؛ بالإضافة إلى العديد من المقالات حول النزاعات الإقليمية وعمليات السلام والحوكمة.

شكر وتقدير

يودُّ المؤلف أن يُعرِب عن جزيل شكره وامتنانه للإسهامات التي قدمها السيد/ بول جاتكوث، المتحدث الرسمي السابق باسم قوات دفاع جنوب السودان والنائب البرلماني بجنوب السودان، الذي عمل مساعد له.

أولا: تقديم ونتائج أساسية

كانت الجيوش البيضاء[1] التابعة لشرق النوير، والتي ظهرت بشكل بارز في الحرب الأهلية الثانية في السودان (١٩٨٣-٢٠٠٥)، مصدرًا بارزًا لعدم الاستقرار خلال الفترة الانتقالية والاستقلال (٢٠٠٥-٢٠١٣)، وشكلت القوة المقاتلة الرئيسية المعارضة للحكومة في الحرب الأهلية في جنوب السودان، التي اندلعت عام ٢٠١٣. ورغم الدور الكبير والهام للجيوش البيضاء في هذه النزاعات، لم تُنشَر دراسات مستفيضة عنها، ولم يُنشَر عنها سوى مجموعة محدودة أقل من أن تكون شاملة من أوراق بحثية. لذلك، لم يُفهَم -إلا بصورة ضعيفة- ذلك الدور الذي اضطلع به مقاتلو الجيوش البيضاء، واهتماماتها، ومنظومة عملها، وتسلسل القيادة لديها؛ وعلاقة ذلك بالعناصر السياسية والعسكرية الفعالة الأخرى، والتوجهات العامة. هناك حاجة إلى إجراء دراسات تاريخية وأنثربولوجية للجيوش البيضاء؛ لمساعدة وسطاء السلام وحكومة جنوب السودان، ومنظمات التنمية، على فهم مجموعة لها دور حاسم في الحرب والسلام والاستقرار في جنوب السودان. وللأسف، لا تستطيع الدراسة الحالية سوى تقديم إسهام محدود لتلبية تلك الاحتياجات الكبيرة.

يتلخص عمل هذه الدراسة في مراجعة التراث البحثي المحدود حول تاريخ ومنظومة وعمل الجيش الأبيض في سياق الحرب الأهلية، التي اندلعت في ديسمبر عام ٢٠١٣. ولن تكون هناك محاولة لتقديم استعراض شامل لتاريخ الجيش الأبيض في تلك الحرب، ولن تكون هذه دراسةً أنثربولوجيةً أو سوسيولوجية لمجتمع النوير. هناك مكونان أساسيان للدراسة الحالية: أولهما، أن هذه الدراسة - بناءً على المقابلات التي أُجرِيت- ستُوفِّر صورة عامة عن الجيش الأبيض المعاصر، وتكشف عن الصورة البشرية لمقاتليه. أما العنصر الثاني، فأن هذه الدراسة ستُلقِي الضوء على عوامل تحفيز الجيش الأبيض -على وجه التحديد- وفهم عناصره للحرب واتفاقية السلام، والمستقبل الذي يتطلعون إليه لجنوب السودان؛ وكذلك ردودهم على الاتِّهامات التي تُوجه لهم بارتكاب انتهاكات لحقوق الإنسان وغيرها من الأمور.

ركَّزت عملية السلام التي تقودها الهيئة الحكومية الدولية المعنية بالتنمية (إيقاد) على تلبية مصالح النُّخَب في حكومة جنوب السودان والحركة الشعبية لتحرير السودان (جناح المعارضة) رغم أن المفاوضين في الهيئة الحكومية الدولية المعنية بالتنمية قد اتَّهموا تلك النُّخَب مرارًا وتكرارًا بأنها أقل من أن تكون ممثلة للبلاد أو المناطق التي تزعم تمثيلها. حاول الوسطاء خلال عملية السلام الأولى (من ديسمبر ٢٠١٣ حتى مارس ٢٠١٥) أن يُدخِلوا بعض عناصر المجتمع المدني في جنوب السودان والأحزاب السياسية

الأخرى، عدا الحكومة والحركة الشعبية لتحرير السودان (جناح المعارضة)، والمعتقلين السابقين في إطار عملية السلام؛ لكن تلك الجهود لم تشمل الجيش الأبيض. وقد أخفقت تلك الجهود لعدة أسباب، فجاءت مبادرة ثانية مُوسَّعة للهيئة الحكومية الدولية المعنية بالتنمية، إلا أنها لم تحاول أن تُدخِل أطرافًا أخرى في عملية السلام (يونغ ٢٠١٥). وقد أدَّى استمرار الضغوط على رئيس حكومة جنوب السودان سيلفا كير إلى إعلانه عن إلتزام أكثر قوة باتفاق إيقاد لحَلِّ النزاع في جنوب السودان (ARCSS) في أغسطس عام ٢٠١٥. وكما أوضحنا في أجزاء أخرى من هذه الدراسة (يونغ ٢٠١٥) فإنه كانت هناك حاجة لقَدْر قليل من الضغط على الحركة الشعبية لتحرير السودان (جناح المعارضة) لتوقيع اتفاق السلام.

وإذا كان لذلك الاتفاق أن يكون مُستدامًا، فلا بد له من أن ينال قبول مجموعات من خارج دائرة النخب، لا سيما الجيش الأبيض، الذي قاد الحملة العسكرية ضد الحكومة ودعمته قيادة الحركة الشعبية لتحرير السودان – (جناح المعارضة) لتحقيق أهدافها السياسية. وقد كان الجيش الأبيض مرتبطًا بالحركة الشعبية لتحرير السودان (جناح المعارضة) خلال فترة الحرب، لكن تلك العلاقة كانت مُعقَّدة؛ كما ستوضح هذه الدراسة بجلاء تلك العلاقة، فلا ينبغي افتراض أن قيادة الحركة الشعبية لتحرير السودان (جناح المعارضة) كانت بالضرورة تمثل مصالح مقاتلي الجيش الأبيض، أو أن تلك المصالح حدث التطرق إليها في اتفاق حَلِّ النزاع في جنوب السودان (ARCSS)، حتى وإن كانت مفاوضات الهيئة الحكومية الدولية المعنية بالتنمية (إيقاد) تستند إلى تلك الفرضية. وبالطبع فإن ما نتصوَّره هنا هو أن الحركة الشعبية لتحرير السودان (جناح المعارضة) لم تتمكن قَطُّ من التحكم في الجيش الأبيض؛ لذلك لا ينبغي التسليم، دون نقاش، بادِّعاء الحركة الشعبية لتحرير السودان (جناح المعارضة) أنها تُمثِّل مصالح الجيش الأبيض في مفاوضات السلام؛ إذ إن الجيش الأبيض ما زال إلى اليوم على حالته التي كان عليها عندما اندلع النزاع، أي ما يزال إلى حَدٍّ كبير منظمة مستقلة. لذا، فإن من الأهداف الأساسية لهذه الدراسة – مع الأخذ في الحسبان ضيق الوقت ومحدودية التمويل المتاح والعيِّنة التي لم تبلغ مستوى الطموح المثالي للباحث– أن نحاول فهم كيف كان مقاتلو الجيش الأبيض ينظرون إلى الحرب، ويُقيِّمون مواقفهم نحو اتفاقية السلام وعملية السلام وقت كتابة هذه الدراسة.

إن المكوّن الأساسي الثاني لهذه الدراسة هو النظر في الموضوعات ذات طبيعة "فنية"، وخاصة المقارنة بالقوات الأخرى غير النظامية في جنوب السودان، وتنظيم الجيش الأبيض، وقيادته والتسلسل الهرمي فيه، وارتباطاته بالقوى النظامية للحركة الشعبية لتحرير السودان (جناح المعارضة) ومكوناته، والتغيرات الداخلية التي حدثت مؤخرًا فيه؛ وطريقة قتاله ضد القوات الحكومية.

إن النزاعات التي ينخرط فيها جيش النوير الأبيض هي نزاعات محلية وقومية؛ فعادةً ما يندلع النزاع على المستوى المحلي، إلا أن أصوله ودوافعه تتشكل غالبًا على المستوى القومي أو الدولي إذا أدركنا

أن عمليات السلام الدولية تتسبب في اندلاع النزاعات وتصُوغ شكلها. إن المزاعم التي تطرحها الأطراف المشتركة في هذه النزاعات ومَن يُراقِبوها والقائلة بأن تلك الصراعات ناتجة عن أفعال فئة من الشباب الساخط، يجب تفنيدها. وسوف توضح هذه الدراسة أنه برغم السلوك الوحشي الذي تكرر كثيرًا من مقاتلي الجيش الأبيض، فإن أفعالهم ناجمة عن مظالم مشروعة. وعند تفكيك وتحليل تلك المظالم، يمكن أن ندرك أنها ذات محتوى سياسي.

في البداية، ينبغي أن نوضح أن مصطلح "الجيش الأبيض" (أو مصطلح "الجيوش البيضاء" عند وصف مكونات فرعية معينة) يُستخدَم فقط للتمييز بينه وبين الجيش الأسود - أي القوات النظامية- حيث ينطوي مصطلح "الأبيض" على دلالات إيجابية، بينما ينطوي مصطلح "الأسود" على دلالات سلبية؛ ويتناسب ذلك مع نظرة مقاتلي الجيش الأبيض السلبية للقوات النظامية. وفوق ذلك، وعلى عكس وجهات النظر الشائعة، لم يكتسب الجيش الأبيض اسمه هذا من استخدام مقاتليه للرَّماد.

هناك تقارير عن وجود قوات الجيش الأبيض في ولاية الوحدة، وقد قال اللواء بيتر قديت إن تلك القوات موجودة بالفعل هناك[٢]. ويتطلب هذا الأمر المزيد من التقصِّي بصورة لم تتمكن هذه الدراسة من تحقيقها؛ لأنها اقتصرت على شرقي النوير، إلا أن الأدلة المتوفرة تشير إلى أن قوات الشباب الموجودة في ولاية الوحدة لا يمكن اعتبارها جيشاً أبيض وفقًا لتفسير مصطلح "الجيش الأبيض" في الشرق. ويرجع ذلك إلى أن القوات النظامية للحركة الشعبية لتحرير السودان (جناح المعارضة) في ولاية الوحدة كان لها دور كبير في تنظيم الشباب، الذين لم يكن للمجتمع المحلي دور يُذكَر، أو ليس له أي دور، في التحكم فيهم. ولذلك، فقد جرى دمجهم في القوات النظامية للحركة الشعبية لتحرير السودان (جناح المعارضة)، مما يُميِّزهم عن الجيش الأبيض في شرقي ولاية أعالي النيل. وعلاوة على ذلك، فإن النوير في ولاية الوحدة - خاصة عشيرة (بول) الضخمة- كانت منقسمة على نفسها بشأن الحرب، وتولَّى بعض كبار قادتها إدارة حكومة الولاية، وكان لهم دور كبير -إلى جانب الجيش الشعبي لتحرير السودان- في شَنِّ الهجمات المتكررة والمدمرة على المدنيين من النوير، الذين يعيشون في الجزء الجنوبي من ولاية الوحدة.

وقد كتب مؤلف هذه الورقة، دراسة بحثية سابقة عن الجيش الأبيض بتكليف من مشروع مسح الأسلحة الصغيرة (يونغ ٢٠٠٧ ب)، إلا أنه كان من الضروري إجراء دراسة أخرى لتحديث المعرفة المتوفرة؛ خصوصاً، على ضوء حرب ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٣، وكذلك مراجعة الدراسات الأخرى الحديثة عن الجيش الأبيض، والأخذ في الاعتبار التغيّرات الداخلية التي تؤثر فيه، وتناول الموضوعات التي لم تتطرق لها الدراسة الأولى، وكذلك تناول وجهات نظر مقاتلي الجيش الأبيض في وقت تتباطأ فيه عملية السلام ووجود خطر بعودة شبح اندلاع الحرب من جديد؛ والتي قد يكون للجيش الأبيض دور

رئيسي فيها. تستندُ الدراسة الحالية ايضاً، وبشكل كبير، على قناعةٍ مُفادها أن مصالح مقاتلي الجيش الأبيض يجب التعاطي معها، رغم أن التعبّيَر عن تلك المصالح تم بشكل ضعيف أو لم يُفهَم بشكل سليم، وذلك لكي تكون هناك بارقة أمل في تحقيق سلام مُستدام في جنوب السودان.

وتتأسس الدراسة الحالية، بشكل كبير، على مقابلات ميدانية أُجرِيت خلال الفترة من ٢٥ يناير حتى ١٦ فبراير عام ٢٠١٦ في جامبيلا في أقصى المنطقة الغربية من إثيوبيا- في وقت كان فيه الكثير من مقاتلي الجيش الأبيض – الذين يزاولون أيضًا مهنة رعي الماشية- موجودين في المنطقة. وقد أُجرِيت معظم هذه المقابلات مع مقاتلين من الجيش الأبيض، كما شملت أيضًا مقاتلين سابقين من كبار السِّنِّ ومسؤولين من الحركة الشعبية لتحرير السودان (جناح المعارضة). وقد انصبَّ التركيز على مقاتلي الجيش الأبيض من مناطق أكوبو الكبرى وفانجاك والناصر الكبرى، بالإضافة إلى أن هناك عدد أقل من المقاتلين من المنطقة الوسطى، الذين كان من غير المرجح وجودهم في غامبالا. وأُجرِيت مقابلات أيضًا مع بعض الزعماء، ومنهم اثنين من المقاتلين السابقين في الجيش الأبيض. ورغم أن المرأة تلعب دورًا داعمًا، فليس هناك وجود في الجيش الأبيض لنساء مقاتلات؛ لذا لم تكُن هناك مقابلات إلا مع عدد محدود من النساء. وأخيرًا، أُجرِيت مقابلات مع بعض الأكاديميين في جامعة غامبيلا في سياق هذه الدراسة.

بالإضافة إلى ما تقدم، أُجرِيت مقابلات في أديس أبابا، وستَرِدُ الإشارة إلى لقاءات أجريت سابقاً مع مقاتلي الجيش الأبيض. أُبلِغ جميع المشاركين في المقابلات بطبيعة الدراسة، وحصلوا على تعهُّد بضمان سرية المعلومات التي يُدلُون بها؛ وفي الحالات القليلة التي أجريت فيها مقابلات مع كبار قادة الجيش الأبيض، تم الحصول على إذن بتسجيل أسمائهم. وبينما يُعتبر إجراء المقابلات في جنوب السودان، أمراً مفضلاً فإن الأوضاع الأمنية وشَكِّ مقاتلي الجيش الأبيض في الباحثين الذين يصلون من جوبا على متن الطائرات، بالاضافة الى معارضة الحكومة الإثيوبية لعبور الأجانب لحدودها ليصلوا إلى جنوب السودان- فإن غامبيلا هي المكان الأفضل لإجراء المقابلات ، وخاصة أن المقابلات كانت تُجرى في وقت يأتي فيه رُعاة النوير (الذين يشكلون غالبية مقاتلي الجيش الأبيض) بماشيتهم للمنطقة الحدودية المتاخمة لغامبيلا؛ وبالتالي فإن ذلك يوفر فرصة سانحة لإجراء المقابلات معهم. إحدى العوائق التي اعترضت إتمام الدراسة هي أن زيارة غامبيلا تزامنت مع نزاع بين قبيلة الأنواك الإثيوبية والنوير، نَجَمَ عنه حالة من التوتر، أدَّت إلى إغلاق الطرق في المنطقة، والى مُشكِلات أمنية في مدينة غامبيلا. وساعدت الظروف الأمنية في إجراء الدراسة في المدينة وتنويع المقابلات؛ إذ فرضت على الكثيرين البقاء في المدينة، ممَّا سهَّل مهمة الباحث. أجريتُ الدراسة بعلم قيادة الحركة الشعبية لتحرير السودان (جناح المعارضة)، والتي لم تحاول مطلقًا التأثير على هذه الدراسة.

كانت المقابلات ذات صبغة غير رسمية، وذات طبيعة نوعية. وبينما برزت موضوعات عامة وتم التطرق لها في الأجزاء التالية من هذه الدراسة، فإن النية كانت تشجيع مقاتلي الجيش الأبيض وغيرهم على التعبير بحُرِّيَّة عن وجهات نظرهم في العديد من الموضوعات. وكان أحد الأهداف الأساسية للدراسة تقديم صورة متكاملة عن مقاتلي الجيش الأبيض، والنظر إليهم في سياق مجتمعاتهم. ويساهم هذا النهج في دحض النظرة الأحادية التي تنظر إلى مقاتلي الجيش الأبيض بوصفهم أدوات صَمَّاء متعطشة للدماء في أيدي قائد الحركة الشعبية لتحرير السودان (جناح المعارضة)، رياك مشار. وهي نظرة بلغت مستويات هستيرية في الأيام الأولى للحرب عندما دخل الجيش الأبيض بور، وبدأ الزحف نحو جوبا.

من أُبرز استنتاجات هذه الدراسة ما يلي:

- كانت حرب الجيوش البيضاء لشرقي النوير ضد حكومة جنوب السودان حربًا شعبية حَظِيت بدعم شبه كامل من المجتمعات المحلية التي جاء منها المقاتلون، وحَظِيت بدعم خارجي محدود للغاية.
- يمكن تمييز الجيوش البيضاء لشرقي النوير عن غيرها من مجموعات ومليشيات الدفاع الذاتي الشبابية من مختلف المجتمعات المحلية، والتي تشكلت في جنوب السودان باستقلال ذاتي عن القوى السياسية والعسكرية الخارجية، في ظل غياب التسلسل الهرمي الرسمي للسُّلطة، والقدرة على الحشد الداخلي، ووجود روابط قوية بين مجتمعات المقاتلين، وقدرتها على القتال خارج تلك المجتمعات لتحقيق أهداف أوسع مدى.
- يمثل الهجوم على بور عام ١٩٩١ بقيادة رياك مشار لحظة ولادة جيش النوير الأبيض.وقد ارتكبت خلال ذلك الهجوم انتهاكات واسعة النطاق ضد المدنيين، ووقعت عمليات سلب ونهب نَجَمَتْ عن كراهية دفينة ضد قبيلة الدينكا، ورغبة في الانتقام. وكانت هجمات الجيش الأبيض على البلدات الخاضعة لسيطرة الحكومة في جونقلي وولاية أعالي النيل في أعقاب عمليات القتل التي تعرَّض لها مدنيون من النوير في منتصف شهر ديسمبر عام ٢٠١٣ في جوبا – والتي رأى مقاتلو الجيش الأبيض أن مسؤوليتها تقع على قبيلة الدينكا، بشكل عام، وعلى سيلفا كير بشكل خاص– ذات دوافع مشابهة.
- هناك اعتقاد شائع بأن سبب اندلاع حرب ديسمبر ٢٠١٣ هو صراع على السُّلطة داخل قيادة الحركة الشعبية لتحرير السودان؛ وأن المفاوضات التي جَرَتْ تحت رعاية الهيئة الحكومية الدولية المعنية بالتنمية (الإيقاد)، ومحادثات أروشا لتحقيق المصالحة بين فرقاء الحركة الشعبية لتحرير السودان كانت مَبْنِيَّة على هذا الافتراض، لذا ركَّزت المفاوضات على اقتسام السُّلطة بين النُّخب، وتحقيق المصالحة في إطار الحركة الشعبية لتحرير السودان؛ إلا أن أحدًا من مقاتلي الجيش الأبيض لم يَقُلْ في المقابلات إن هذا كان دافعه لخوض الحرب. ولم يقُلْ أيّ واحد منهم إنه كان

يخوض غمار الحرب لأن رياك مشار قد أُبعِد من منصبه كنائب للرئيس، أو إنهم كانوا يَسْعَوْنَ لكسب مواقع وزارية للنوير في حكومة ما بعد الحرب. لكن المقاتلين دون استثناء قالوا أنهم كانوا يقاتلون انتقاماً لمقتل المدنيين من النوير ومن أفراد أُسَرهم في جوبا في منتصف ديسمبر عام ٢٠١٣، ولتحرير أفراد أُسَرهم من المدن التي احتلتها الحكومة.

- رغم أن رياك مشار زعم في شهادته، أمام لجنة الاتحاد الأفريقي للتحقيق في جنوب السودان، أنه كان مُتحكِّمًا تمامًا في جميع قوات المعارضة المسلحة بدايةً من ١٧ ديسمبر ٢٠١٣، والتي تشمل بالضرورة الجيش الأبيض؛ إلا أن هذه الدراسة لا تتبنَّى زعمه هذا. فالبحث في تاريخ الجيوش البيضاء منذ عام ١٩٩١ يشير إلى أنه لا رياك مشار أو أي شخص آخر يمكنه الادِّعاء بأنه يتحكَّم فيها، ولا يستطيع ريك أو أي ممثلين له الادعاء بأن لهم يَدٌ في تعبئة الجيش الأبيض في أعقاب عمليات القتل التي وقعت في جوبا. لذا، فإن شهادة لام أكول أمام اللجنة بأن رياك "تولى أمر تمرُّدٍ لم يكن له يَدٌ فيه" (لجنة الاتحاد الأفريقي للتحقيق في جنوب السودان ٢٠١٤، ص ١٣١) تُعَدُّ شهادة دقيقة.
- نجح الجيش الأبيض – وليس الجيش الأسود أو القوات النظامية التابعة للحركة الشعبية لتحرير السودان (جناح المعارضة) – في بسط سيطرته على البلدات التي كانت تسيطر عليها الحكومة في جونقلي وأعالي النيل، لكن عدم رغبة المقاتلين في مواصلة العمليات العسكرية كان يعني أنهم سَرْعان ما سيعودون إلى ديارهم؛ تاركين تلك البلدات تحت سيطرة قوات الحركة الشعبية لتحرير السودان (جناح المعارضة)، التي اتَّضح أنها غير قادرة على الاحتفاظ بها.
- رغم أن هجمات الجيش الأبيض على البلدات التي كانت تسيطر عليها الحكومة قد قادت إلى النظر إليهم بوصفهم مُتوحِّشين وعنيفين وخارجين عن السيطرة، فإنهم كانوا مُهذَّبين ويُحسِنون التصرف في مواطنهم الأصلية، وكانوا يتبعون توجيهات زعمائهم من كبار السن والسُّلطات المدنية، وكانت الإدارات التابعة للحركة الشعبية لتحرير السودان (جناح المعارضة) تراهم عنصرًا هامًّا في حفظ الأمن.
- إن بقاء سيلفا كير، الذي يراه مقاتلو الجيش الأبيض مسؤولاً عن قتل المدنيين من النوير في جوبا– رئيسًا لجنوب السودان، واستمرار وجود جنود الجيش الشعبي تحرير السودان في الموطن الأصلي للجيش الأبيض كان يعني، بغَضِّ النظر عن توقيع اتفاق إيقاد لحَلِّ النزاع في جنوب السودان، أن مقاتلي الجيش الأبيض لا يَرَوْنَ أن الحرب قد وضعت أوزارها؛ وإنما يعتقدون، في أفضل الأحوال، أن هناك فقط وقفًا لإطلاق النار. وفي ظِلِّ الأوضاع الراهنة، لا يمكن التفكير في عملية لنزع سلاح المدنيين رغم أنها خطوة حاسمة في ضمان استدامة السلام.

- لم تبذل الحركة الشعبية لتحرير السودان (جناح المعارضة) أيَّ جُهْد لتثقيف مقاتلي الجيش الأبيض سياسياً؛ لذا انخرط معظمهم في القتال بدافع الانتقام وكراهية قبيلة "الدينكا". وقد اتَّضحت محدودية هذا النهج بشكل جلي؛ ولم يكن المقاتلون سُعَداء بنتيجة الحرب، وازداد لديهم الشعور بعدم الثقة في قيادة الحركة الشعبية لتحرير السودان (جناح المعارضة) واتفاقية السلام. وتوصلت أقلية منهم إلى أنهم تعرَّضوا للخيانة، ويريدون استئناف القتال.

ثانيًا: خلفية

نشأت العديد من مجموعات الدفاع الذاتي المجتمعية المُؤلَّفة من شباب مسلّح في الكثير من أرجاء جنوب السودان، وهي تحمل الكثير من أوجه الشبه بالجيش الأبيض، إلا أنها تختلف عنه في أوجه جوهرية. تشمل أمثلة ذلك "جولونج" و"تيتونج" في قبيلة "الدينكا"، و"مونيميجي" في "اللاتوكا" في شرق الاستوائية، وفتية السهام في قبيلة "الزاندي" في غرب الاستوائية. وقد أدَّت الحرب الأهلية الثانية في جنوب السودان إلى انتشار المليشيات القَبَلِيَّة في شتى أرجاء البلاد، وخاصة في الاستوائية الكبرى، بهدف حماية المدنيين والأصول التي يمتلكها المجتمع من الجيش الشعبي لتحرير السودان ورعاة قبيلة الدينكا، الذين حزو حزوهم.

تولَّى الجيش الشعبي لتحرير السودان تدريب وقيادة "التيتوينج" التابعين لقبيلة الدينكا (Pendle 2015). وعلى عكس الجيش الأبيض، الذي لم تدربه أو تقوده الحركة الشعبية لتحرير السودان (جناح المعارضة). ووفقًا لـ "Pendle (2015)، فإن المنافسة اشتعلت بين النُّخَب في جيش الشعبي لتحرير السودان للتحكم المطلق في التيتوينج، لكن لم يستطيعوا خوض مثل ذلك التنافس على التحكم في الجيش الأبيض؛ نظرًا لتشديده على استقلاله الذاتي. يذكر Pendle (2005) أيضاً أن الجيش الشعبي لتحرير السودان قد قوض من سيطرة زعماء قبيلة الدينكا على التيتوينج إلا أن هذا ليس واضحًا في أوساط الجيش الأبيض؛ فالصورة التي تتضح من خلال ما ذكره (بيندل) وغيره من المصادر هي أن التيتوينج ميليشيا مرتبطة بالجيش الشعبي لتحرير السودان إلا أنها تنشط بشكل أساسي على المستوى المحلي ولا تضم عددا كبيرا من المقاتلين. أما جيش النوير الأبيض فلم يكن مرتبطًا بشكل عضوي بالحركة الشعبية لتحرير السودان (جناح المعارضة) ولا تقتصر أنشطته على المناطق الأصلية لمقاتليه ويضم جيوشاً ضخمة للغاية سيرد تفصيلها في الأجزاء التالية من البحث.

أسس جونسون أولوني ميليشيا الشلك – التي تحمل اسم الأجويليك عام ٢٠٠٩ في أعقاب تسبب قبيلة الدينكا في نزوح سكان مدينته كانال، لكن على العكس مما كان عليه الجيش الأبيض، فإن هذه القوة كانت منظمة من الخارج وكان لديها تسلسل هرمي عسكري رسمي ونظام للرتب ولم يكن مقاتليها يمتلكون الأسلحة التي يقاتلون بها[٢]. وفوق ذلك فإن الجيش الأبيض، على عكس ميليشيات الاستوائية القبلية أو الأجويليك، حرص بحماس شديد على حماية استقلاله.

قد تعتبر مجموعة فتيان السهم – التي أطلقت على نفسها مؤخرا اسم الحركة الوطنية لتحرير جنوب

السودان – أقرب المجموعات شبهًا بجيش النوير الأبيض إذ انشأتها مجموعة من الشباب للدفاع عن أصول ممتلكات المجتمع خاصة من جيش الرب للمقاومة، وبينما تتأثر تلك الحركة بشكل كبير بكبار السن فإنها لم تشكل تسلسلاً هرمياً رسمياً للسلطة ولم تكن مرتبطة رسميًا بأي قوة سياسية أو عسكرية أخرى. وبمساندة الحاكم السابق للاستوائية جوزيف باكوسورو تمكنت حركة فتيان السهم من تبني دور سياسي أكبر بحلول نهاية عام ٢٠١٥ وبدأت تشن هجمات على الجيش الشعبي لتحرير السودان. إلا أنه على النقيض من الجيش الأبيض فإن فتيان السهم لم يُعرف عنهم أنهم نفذوا عمليات عسكرية خارج مناطقهم الأصلية كما أنهم تلقوا دعمًا خارجيًا لحشد قواتهم.

يجدر بالذكر أنه لم يرد ذكر الجيش الأبيض في الدراسات الأنثروبولوجية الكلاسيكية عن النوير والتي أجراها إيفانز بريتشارد (Pritchard 1940) ولا حتى في الدراسة المستفيضة التي أجرتها شارون هتشنسون بعنوان (Nuer Dilemmas) التي نشرت بعد ذلك بفترة طويلة (Hutchinson 1996) على الرغم من أن كليهما تطرق لدور النوير في الحرب بشيء من الإسهاب. ولا تشير الدراسات عن الحرب الأهلية الأولى في السودان إلى الجيش الأبيض.

يقدر النوير المهارات العسكرية أكثر من معظم شعوب جنوب السودان. ويبدو أن العمل برعي الماشية يعد جزءًا من تفسير النزعة العسكرية لدى النوير، بالإضافة إلى أن أراضي النوير في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كانت متنازع عليها بين الإمبراطوريتين الأثيوبية والعثمانية وكانت إلى حد كبير منطقة خارج نطاق القانون. وكان الإمبراطور الأثيوبي منليك يستورد الأسلحة للدفاع عن المستعمرات الواقعة تحت سيطرته وللدفاع عن البلاد من تهديدات القوى المجاورة مثل المهدي وخليفة من السودان. وقد حصل النوير الشرقيون على بعض الأسلحة من هذه التجارة، وأصبح لديهم مذاق خاص في اختيارها، وأضحت رموزا للرجولة. إلا أن تلك الأسلحة لم تنتشر على نطاق واسع بين النوير الغربيين حيث كان لدى الزعماء قدرة أكبر فيما يتعلق بالسيطرة على الشباب مقارنة بما كان عليه الوضع في الشرق.

استمر غياب القانون والنظام في أراضي النوير الشرقية لبعض الوقت بعد عودة الاحتلال البريطاني؛ وبالطبع، فقد كانت من أواخر مناطق السودان التي استعادت هدوءها. وحتى في إعقاب استقلال السودان عام ١٩٥٦ كانت للحكومة سلطة محدودة على أجزاء من شرق أعالي النيل، واستمر هذا الوضع حتى الآن. ونتيجة لذلك أصبح الإقليم الشرقي من ولاية أعالي النيل مسرحًا لعمليات تمرد أكوبو عام ١٩٧٥ وتمرد آيود عام ١٩٨٣ وكذلك تمرد (بور) في السنة نفسها، والذي نجم عنه ظهور الجيش الشعبي لتحرير السودان (Adeba 2015). وعلى الرغم من انتشار الأسلحة وحركات التمرد تلك فلم يحصل عدد كبير من شباب النوير على أسلحة حديثة إلا في أعقاب تمرد الجيش الشعبي لتحرير السودان عام ١٩٨٣ والدعم العسكري الذي قدمته (سلطة الدرك) الأثيوبية (Skedsmo 2003).

إن شجرة نسب مجموعات شباب النوير ظلت تحتل أهمية كبيرة - ومثل كل المجموعات التي يتألف منها مجتمع النوير- كان لتلك المجموعات مُثل وقيم عسكرية قوية، إلا أن شجرة نسب النوير اضمحلت وحل محلها (البورنام) أو مجموعات الدفاع الذاتي المُشكلة من مجموعات الشباب، وفقط بعد اضمحلالها بدأت مجموعات شباب النوير تشكل الجيوش البيضاء. وفقا لما ذكرته شارون هتشنسون وجوك ماديوت (١٩٩٩ - صفحة ١١) فإن:

الـ(دك) أو أوساط الريفيين أو الجيش الأبيض كانت تتشكل من مجموعات بسيطة التنظيم من شباب النوير المسلح وقد تحملت مسؤولية حماية الرعاة المحليين خلال موسم الجفاف. وكان الجيش الأبيض يمثل مؤسسة للسكان الأصليين تشكلت من شكل سابق للواء من شباب النوير كان يطلق عليه اسم بيرنام (أو بونام) والتي ظهرت لأول مرة بين نوير الجيكيني ولو- نوير خلال الحرب الأهلية الأولى بين عامي (١٩٥٥ - ١٩٧٢).

إن كلمة (بيرنام) كلمة مستعارة من الأنواك يعود تاريخها إلى فترة ما قبل الحرب الأهلية السودانية الأولى وتشير إلى مجموعة من الشباب من نفس العشيرة، تشكلت للدفاع عن الأصول المملوكة لجماعتها المحلية والتي هي أصول تتألف بصفة أساسية من قطعان الماشية. وقد اتخذت بعض تلك المجموعات شكلاً أكثر نضالياً خلال السنوات المبكرة من الحرب الأهلية الثانية تم ثم استيعابها في الجيش الشعبي لتحرير السودان. وقد وصل الجيش الأبيض إلى صورته الحالية خلال الهجمات التي نفذها فصيل الناصر تحت قيادة رياك مشار على مدينة بور عام ١٩٩١. ووفقًا للعديد من المصادر فإن هذا الاسم يميز الجيش الأبيض فقط عن الجيش الأسود أو الجيش النظامي. وعلى الرغم من أن غالبية القوة المهاجمة التابعة لرياك عام ١٩٩١ كانت من نوير- لو فإن مصطلح الجيش الأبيض سرعان ما تبنته كافة عشائر النوير الشرقية. ومازال مصطلح (بيرنام) له معنى عام كما أنه يستخدم للإشارة أحياناً إلى قائد في الجيش الأبيض.

هناك حاجة لإجراء المزيد من الدراسات، لكن من الواضح أن النزعة العسكرية للنوير- بالإضافة لتزايد الإحساس بانعدام الأمن وهجمات الجيش الشعبي لتحرير السودان- الذي كان ينظر إليه كجيش احتلال وليس جيش تحرير في منطقة أعالي النيل الكبرى- بالإضافة إلى توفر كميات كبيرة من الأسلحة لرياك مشار من حكومة السودان عقب انشقاقه عن جون قرنق- شكّل الأساس لتكوين الجيش الأبيض. وبينما تم بيع بعض هذه الأسلحة فإن رياك وزع معظمها على شباب لو وجاوار وعشائر جيكاني الشرقية ليتمكنوا من حماية ماشيتهم وغيرها من الممتلكات من هجمات الجيش الشعبي لتحرير السودان. وتتواجد عشيرة لو- نوير بشكل كبير في أكوبو ونيرول وورور وجوار في أنحاء منطقة آيود بينما تتواجد عشائر شرقي جيكاني في المنطقة المتاخمة لنهر السوباط بالقرب من الحدود الأثيوبية. وتم إرسال عدد

قليل من الأسلحة إلى مسقط رأس رياك في ولاية الوحدة. ويبدو أن النفوذ الأكبر للسلطات التقليدية يُعد جزءًا من تفسير هذا الوضع إلا أن تمرد رياك قد مكنه أيضا من تعزيز علاقته مع حركة الأنيانيا الثانية وقائدها باولينو ماتيب من عشيرة بول القوية التي ظلت تعارض الجيش الشعبي لتحرير السودان منذ ظهوره عام ١٩٨٣، ومن خلال دعم القوات المسلحة السودانية تمكن باولينو من السيطرة على معظم الولاية. وقد استخدم الجيش الأبيض الأسلحة التي حصل عليها من خلال رياك في ظل نشوب نزاعات داخلية بين العشائر ونزاعات بين القبائل. وكان ذلك واضحًا بصورة خاصة عندما كان لو- نوير الذين تعاني أراضيهم من ضعف موارد المياه- ينقلون ماشيتهم خلال موسم الجفاف لأراضي الجيكاني الشرقيين ودينكا بور.

كان النوير الشرقيين وخاصة لو- نوير ومجموعة صغيرة من عشيرة الدوك، احدى عشائر قبيلة الدينكا- التي يعتبر المنتمين لها قريبين من النوير ثقافياً- قد شاركوا في هجمات نوفمبر ١٩٩١ ضد مدينة بور معقل نفوذ القائد جون قرنق قائد الجيش الشعبي لتحرير السودان. وكان الهجوم بقيادة ضابط محترف اسمه سيمون جاتوتش (أصبح فيما بعد رئيس أركان الحركة الشعبية لتحرير السودان - جناح المعارضة) ونفذ ذلك الهجوم ما يربو على ٣٠ ألف من مقاتلي الجيش الأبيض بيد انه لم يكن لـ رياك أي دور في حشدهم. كان رياك يرمي إلى إضعاف عزيمة دينكا- بور بإظهار أن جون قرنق لا يستطيع الدفاع عن شعبه إلا أن هذا كان على الأرجح هدفًا ثانويا بالنسبة لمقاتلي الجيش الأبيض الذين كان تركيزهم ينصب على سرقة الآلاف من رؤوس الماشية وغيرها من الأصول المنقولة علاوة على قتل المدنيين. وكان الانتقام دافعًا أساسيًا أيضًا في الهجوم على بور لأن الكثير من النوير أغضبهم مقتل صاموئيل جاي توت وغيره من قادة حركة أنيانيا II من اثنية النوير على يد أتباع قرنق وأيضا على يد ضباط الجيش الشعبي لتحرير السودان من عشيرة لو- نوير في بحر الغزال.

كان قتل المدنيين من الدينكا قد صار ممكنًا نتيجة الازدراء المتبادل بين الشعبين؛ فالنوير ينظرون بتعالٍ إلى الدينكا ولمهاراتهم القتالية بينما الدينكا يعتبرون أنفسهم أرقى ثقافيًا منهم، وأنهم "من خيرة الرجال" Pritchard - 1940، تم الاستشهاد به في Adeba - 2015). وفي لغة النوير يدعى الدينكا الـ(جينج) والذي يمكن ترجمته بـ(العبيد) ويعزى ذلك إلى الادعاء بخضوع الدينكا للعديد من القوى واستخدام النوير لهم كعمال زراعيين (بينما يطلق النوير على أنفسهم اسم "ناث" أو "البشر"). وأخذ الهجوم على بور تنظيماً مختلفاً عن سابقيه من حيث حشد المقاتلين وسرقة الماشية وقتل الناس وكيفية تأثيره على صياغة مستقبل عالم السياسة في جنوب السودان. وعلى الرغم من أن رياك أعلن مرارا وتكرارا، و بشكل علني، أنه يتحمل المسؤولية عن تلك الأفعال فليس هناك سبب قوي يدفعنا للاعتقاد بأنه كان يتحكم في أفعال القوات التي أطلقها من عقالها.

على الرغم من أن الدينكا والنوير في العادة "يتميزون بشكل قوي بصلات الرحم والعشيرة أكثر مما يتميزون بالإثنية، وأن الصراعات داخل المجتمعات عادة ما تندلع بين المجموعات على هذا المستوى" (Breidlid and Arensen - 2014 – صفحة ٣)، فإن البعد الاثني كان العنصر الأبرز في هجوم بور. إضافة إلى ذلك فإن الهجوم تسبب في اندلاع حلقة من الصراع العرقي الشرس بين الدينكا والنوير ورفع من مستوى عسكرة حياة الشعبين وأدى إلى إنشاء التيتوينج التابع للدينكا أو حراس الماشية لحماية أصول ممتلكات المجتمع من غارات النوير والبدو العرب. وقد جعل ذلك الهجوم وما تبعه من هجمات، من الواضح تمامًا، أن الجيش الأبيض يمكنه أن ينتقل لوضعية الهجوم ويعمل خارج موطنه الأصلي ويحشد قواته للحرب من خلال تحالف مع قوات نظامية ويسعى لتحقيق أهداف سياسية حتى لو أن مقاتليه لم يكونوا دائمًا مدركين للتبعات السياسية لأفعالهم.

وكان الهجوم على بور هو ما جعل للجيش الأبيض سمعة سيئة راسخة كمجموعة من لصوص الماشية، ومن القتلة قساة القلوب الخارجين عن سيطرة الحكومة، الذين صاروا أدوات في أيدي رياك مشار. وسيتم تناول بعض تلك الأفكار في موضع لاحق من هذه الدراسة؛ لكن من المهم هنا ملاحظة أن الجيش الأبيض كان دائمًا يثمّن استقلاله، وحكمه الذاتي، وينتخب قادته بواسطة أفراد عشيرتهم وحدهم؛ وكان الجيش الأبيض، ولا قوة أخرى عداه، يتخذ القرارات بشأن خوض الحروب، ومواعيدها. ولم تكن لا الاستراتيجية، ولا الرؤية مما يشغل بال شباب محدود التفكير، لم يتلق قدرًا وافرًا من التعليم، بل كان همهم، وشاغلهم الأكبر هو رعاية قطعان الماشية الخاصة بهم، ولم يكونوا مؤهلين لخوض معارك طويلة. وفي الماضي، مثلما في الوقت الحاضر، لا يستطيع الجيش الأبيض القتال دون دعم مقاتلي مجتمعاته المحلية، التي تزودهم بالغذاء، وتتولى رعاية ماشيتهم عند خروجهم في حملات عسكرية.

رغم أن وجهة النظر السائدة هي أن الحرب الأهلية الثانية (١٩٨٣– ٢٠٠٥) كانت تمردًا جنوبيًا ضد حكومات الشمال المتعاقبة، فإن ما ظل يهيمن على المشهد خلال السنوات الأخيرة هو الصراعات بين الجيش الشعبي لتحرير السودان، الذي يخضع لسيطرة قبيلة الدينكا، وقوات دفاع جنوب السودان، التي تخضع لسيطرة النوير، والمتحالفة تحالفًا قويًا مع الجيش الأبيض، والمدعومة من القوات المسلحة السودانية، (يونغ، ٢٠٠٦). وقد استمر الجيش الأبيض في قتال الجيش الشعبي لتحرير السودان حتى بعد عودة رياك مشار إلى الحركة الشعبية لتحرير السودان عام ٢٠٠٢، مما يوضح بجلاء حدود سيطرته على مقاتلي الجيش الأبيض، واستمرار مشاعر العداء للدينكا بين النوير.

وكانت قوات دفاع جنوب السودان قد أثبتت أنها الأكثر فعالية، بين القوات المتعددة، في التحالف مع الجيش الأبيض، رغم أنها لم تكن تتمتع بمثل حظ الجيش الشعبي لتحرير السودان في الحصول على الأسلحة، والدعم اللوجيستي. كذلك لم تكن المناطق التي احتلتها قوات دفاع جنوب السودان تستطيع

الاعتماد على المساعدات الغذائية التي تُقدّم عبر عملية شريان الحياة في السودان، والتي كثيرًا ما كانت لها أهمية حيوية للجيش الشعبي لتحرير السودان في مسألة الحصول على قبول السكان المحليين له، حيث كانت قوات دفاع جنوب السودان تعتبر قوات متحالفة مع القوات المسلحة السودانية، وتابعة للحكومة السودانية. ومع ذلك، فبنهاية الحرب كانت قوات دفاع جنوب السودان، وحلفاؤها من قوات الجيش الأبيض، قد سيطرت على جزء كبير من منطقة أعالي النيل الكبرى، بل، وعلى الأرجح، تمتعت بدعم أكثرية النوير. وكان لعدد من القادة رفيعي المستوى لقوات دفاع جنوب السودان مكانة بارزة، من بينهم تشايوت مانيانج في مايويت، وجوردون كونج، وجاروث جاتكوت في بلدة الناصر، وكول جاجا في ميدينج، وغابرييل تانج، وتوماس مابيور في فانجاك، وسيمون جاتويتش في يواي، نظرًا لكونهم مصدر للالهام والتعاون في العمل مع نظرائهم في الجيش الأبيض (يونغ، ٢٠٠٧ ب)؛ لكنهم رغم ذلك لم يتمكنوا أبدًا من السيطرة عليهم، أو حتى توجيههم. وفي حرب ديسمبر ٢٠١٣ كان هؤلاء القادة لايزالون يتمتعون بتلك المكانة مع الجيش الأبيض. ومع أن تلك الحرب اكتسبت ثوب السجال السياسي، فإنها كانت تشبه الحرب السابقة، حيث كانت القيادة العسكرية للحركة الشعبية لتحرير السودان- جناح المعارضة تتكون من لواءات سابقين من قوات دفاع جنوب السودان، وأتى معظم المقاتلين المعارضين للحكومة من جيش النوير الأبيض، بينما تشكل معسكر خصومهم من الجيش الشعبي لتحرير السودان الخاضع لهيمنة الدينكا (يونغ، ٢٠١٥).

ونظرًا لأن الحرب الأهلية الثانية بدت كحرب جنوبية – جنوبية، فإن اتفاق السلام الشامل لم يتمخض عن السلام المنتظر، ولم يصبح السلام المستدام ممكنًا إلا مع توقيع إعلان جوبا في ٨ يناير ٢٠٠٦ بين باولينو ماتيب، ممثلا لقوات دفاع جنوب السودان، والرئيس سيلفا كير، ممثلا لحكومة جنوب السودان، التي كانت تدعو إلى دمج قوات دفاع جنوب السودان في الجيش الشعبي لتحرير السودان (يونغ، ٢٠٠٦). مع ذلك أصبح فشل تطبيق إعلان جوبا،)الذي لا يتسع المقام هنا للحديث عنه تفصيلا ،(بشكل مرضٍ، سبباً رئيسياً للحرب التي اندلعت في ديسمبر ٢٠١٣.

وثمة مشكلة أخرى من المشكلات، التي ظهرت في ذلك الوقت، هي مشكلة نزع سلاح مجموعة من القوات غير النظامية، أو المدنية اسمًا في البلاد، والتي كانت تمثل أهم مكون من مكونات الجيش الأبيض. ومع دمج قوات دفاع جنوب السودان في الجيش الشعبي لتحرير السودان نتيجة إعلان جوبا، ازداد جيش النوير الأبيض هشاشةً وضعفاً. وفي الوقت الذي أصرّت فيه الحكومة الوطنية على احتكار استخدام العنف في البلاد، لم يكن رعاة الماشية من الجيش الأبيض في أكثر الأوقات عازمين على التخلي عن سلاحهم في ظل مناخ غير آمن؛ خاصة فيما يتعلق بالجيش الشعبي لتحرير السودان، الذي طال انعدام ثقتهم به، وقاتلوه كثيرًا. وفوق ذلك فإن الاحترام والسلطة التي حظي بها رعاة الماشية بين جماعاتهم،

يعتمد على احتفاظهم بالسلاح. وشكا قرويون، ممن أجرى معهم كاتب التقرير مقابلات على امتداد نهر السوباط عام ٢٠٠٦، من غياب الأمن، وحالات سرقة الماشية، وحوادث الاغتصاب التي كان يرتكبها الشباب من حملة السلاح الخارجين عن سيطرة السلطات التقليدية، أو مؤسسات الدولة المركزية، التي اختفت تقريبًا (يونغ، ٢٠٠٧ أ)؛ كما قوّض استخدام السلاح للاستيلاء على الماشية، التي كانت تُدفع كمهور، سلطة ونفوذ شيوخ العشائر، وبات أمراً مدمراً لمجتمع النوير. وسلّم بعض مقاتلي الجيش الأبيض، خاصة بين الجيكاني الشرقيين، أسلحتهم إلى الجيش الشعبي لتحرير السودان، لكن تبين لهم أن هذا لم يجلب لهم الأمان؛ لذلك عادوا مرة أخرى لتسليح أنفسهم.

بلغت المشكلة ذروتها عام ٢٠٠٦ عندما شنّ الجيش الشعبي لتحرير السودان حملة ضخمة لنزع سلاح لو-نوير في الجيش الأبيض بعد رفضهم تسليم سلاحهم طواعية (يونغ ٢٠٠٧ ب). ونظرًا للعلاقة الخاصة، التي كانت تربط رياك مشار ب عشيرة لو، حيث كانوا يشكلون الجزء الأكبر من مقاتليه في هجوم بور عام ١٩٩١، فقد التقى بهم في محاولة لإقناعهم بتسليم أسلحتهم، لكنه أخفق مرة أخرى، ونتيجة لذلك بدأ الجيش الشعبي لتحرير السودان حملة لم تستهدف نزع سلاح الشباب فحسب، بل أيضًا معاقبة المدنيين الذين يُفترض أنهم كانوا يدعمونهم وأخذ مواشيهم للاعتماد عليها كمصدر للغذاء. في البداية كانت للجيش الأبيض اليد العليا، لكنه لم يستطع أن يكون ندًا للجيش الشعبي لتحرير السودان على المدى الطويل؛ ومُني بهزيمة ساحقة في موتوت، شمال وسط فانجاك، في مايو ٢٠٠٦؛ وبعدها بدأ الشباب في نهب مجتمعاتهم المحلية نفسها، وهربوا من المنطقة. وفي ذلك الوقت خلص كاتب الدراسة إلى أنه :

"كان من الخطأ النظر إلى الجيش الأبيض كمشكلة أمنية فقط، وأن الفشل في مواجهة حالة السخط، والفقر، وانعدام الفرص، بشكل فعّال سيسمح بظهور دورة جديدة من العنف التي كان من المفترض ان يضع اتفاق السلام الشامل حدا لها" (يونغ، ٢٠٠٧ب، ص. ٢٤).

وبالفعل فإنه رغم شنّ المزيد من الحملات لنزع سلاح المدنيين في أرض النوير، وغيرها من مناطق جنوب السودان، لم يتمكن الجيش الشعبي لتحرير السودان من تحقيق الأمن، واستمر القتال العشائري، والعرقي، ولم تتم معالجة أسباب حالة السخط السائدة التي كانت وقودًا للجيش الأبيض.

وأيّاً كانت درجة عنف النزاعات الداخلية، التي استمرت بين عامي ٢٠٠٦ و٢٠٠٩، فإن تلك النزاعات التي نشبت في جونقلي بعد عام ٢٠٠٩ كانت أكثر فتكاً. وشارك لو- نوير، والمورلي، في أسوأ جزء من هذا القتال. لكن طبقًا لموجز تقرير لمشروع مسح الأسلحة الصغيرة، لم يكن وصف قوة لو - نوير المحاربة واضحًا، حيث قال بعض الخبراء إنها كانت تتكون من الجيش الأبيض، في حين قال آخرون إن المقاتلين كانوا من البونام فقط، أو من الشباب (مشروع مسح الأسلحة الصغيرة، ٢٠١٢). وأعطت مقابلات أجريت مع قادة الجيش الأبيض في غامبيلا ثقلا يدعم فكرة أن هذه القوة المقاتلة كانت بالفعل هي

الجيش الأبيض. وكان باولينو كور، الذي قاتل في حملة المورلي، وخدم كقائد رفيع المستوى في الحرب ضد الحكومة، متأكدًا من أن قوة لو – نوير المقاتلة كانت بالفعل هي الجيش الأبيض[٤]. إلى جانب ذلك، كان تنظيم هذه القوة مماثلا لتنظيم الجيش الأبيض تحت قيادة بوردوانج لي من محلية أورور، والذي كان يقود لو- نوير في الجيش الأبيض أثناء تمرد الحركة الشعبية لتحرير السودان – جناح المعارضة.

وفي الوقت الذي كان يمثل فيه قتال المدنيين في جونقلي بين عامي ٢٠٠٩ و٢٠١٢ استمرارًا لقتال سابق، فإنه على عكس نزاع ما بعد ١٥ ديسمبر ٢٠١٣، لم يكن موجها ضد الجيش الشعبي لتحرير السودان، أو الدينكا في بور، ولم تكن هناك تقارير مؤكدة تشير إلى مساعدة الجيش الشعبي لتحرير السودان لعشيرة لو (هيومان رايتس ووتش، ٢٠١٣). وشهدت تلك الفترة أيضاً بزوغ نجم داك كيوث، نبي النوير، مجسدًا لغضب لو- نوير من هجمات المورلي. وبحسب أحد المحللين، فقد ساعد كيوث في تنظيم رد فعل الجيش الأبيض (Thomas, 2015). ومرة أخرى تصدى رياك مشار بصفته نائب الرئيس، وقائد النوير، وأحد القادة السابقين لـ لو، لمهمة إقناع مقاتلي لو بالعدول عن مهاجمة المورلي خلال اجتماعاته معهم في ٢٨، و٢٨ ديسمبر ٢٠١٢ في البيبور، وليكوانجول، لكن الشباب رفضوا طلبه. وبحسب أحد القادة الحاليين للجيش الأبيض ممن حضروا تلك الاجتماعات التي عقدها رياك، تم رفض طلب رياك لأن قادة لو، الذين يمثلون مجتمعات لو المحلية كلها، قد أخبروا الحكومة من وقت سابق بمنحها مهلة مدتها ستة أشهر لوضع حد لهجمات المورلي في المنطقة، ونظرًا لاستمرار، وتواصل الهجمات، قرروا التعامل مع المشكلة بأنفسهم[٥]. وعندما طلب من أحد قادة الجيش الأبيض عقد مقارنة بين الحرب ضد المورلي، والتمرد ضد الحكومة، قال إن الحالة الأولى كانت تتعلق بالأبقار، بينما الحالة الثانية تتعلق بالسلطة، لكن يبدو أن الأمر أكثر تعقيدًا من ذلك.

وظلت الأسباب الكامنة وراء سخط، وغضب لو كما هي لفترة طويلة، إذ استمرت الصدامات، والنزاعات على المراعي، ومصادر المياه، وتواصل تدهور المراعي، مما أدى إلى نشوب الكثير من أشكال التوتر نظرًا لكون الماشية هي المصدر الرئيسي للثروة، ولضرورتها كمهور، ولتدنى مستوى التنمية، والبنية التحتية في جنوب السودان ليتراجع الى أدنى المستويات، ولغياب الأمن، وإضفاء الطابع السياسي على النزاع، وانتشار المزاعم باختطاف المورلي للأطفال، وهو أمر يميز هذا الصراع تحديدًا. وثمة عامل آخر برز، على الساحة خلال الحرب الأهلية في ديسمبر ٢٠١٣، وهو المساعدة التي قدمتها الجاليات في الخارج إلى مقاتلي النوير، وشملت حشد الدعم الدولي، وجمع الأموال، وتشجيع رجال لو- نوير الشباب في الخارج على الانضمام للقوات المقاتلة. وعدا مستوى القتال غير المسبوق، (الذي بدا أحيانا كحرب مصغرة)، فإن ما كان يميز القتال بين لو، والمورلي هو استهداف النساء، والأطفال؛ مما أوضح أن الهدف الرئيسي للقتال لم يكن الاستيلاء المعتاد على قطعان الماشية، وإنما هو الكراهية العرقية (مشروع مسح

الأسلحة الصغيرة، ٢٠١٢). ورداً على ذلك، تم الإعلان عن شنّ حملة لنزع السلاح من المدنيين على مستوى البلاد، وبدأت الحملة -عملية إستعادة السلام -في مارس ٢٠١٢. وكانت تستهدف بالأساس المورلي، الذين تم تجاهلهم في خمس حملات سابقة لنزع السلاح ، وتعامل الجيش الشعبي لتحرير السودان مع المدنيين بوحشية أكبر مقارنة بوحشيته في مبادرات نزع السلاح الأخرى (هيومان رايتس ووتش، ٢٠١٣). وأسفر ذلك عن تمرد واسع النطاق بقيادة ديفيد ياو ياو، ألحق الهزيمة بالجيش الشعبي لتحرير السودان في نهاية المطاف.

ويلخص كل ما سبق الصراع في منطقة أعالي النيل الكبرى عشية اندلاع الحرب الأهلية في ديسمبر ٢٠١٣، خاصة جونقلي، التي عانت من أسوأ موجات عنف. ويمكن بسهولة النظر إلى مقاتلي الجيش الأبيض كمفجرين لتلك النزاعات، لكنهم هم، ومجتمعاتهم المحلية كانوا ضحايا أيضًا لظروف مهينة في مناطقهم تسبب فيها سوء حكم وإدارة الجيش الشعبي لتحرير السودان، وإخفاقاته الأمنية، إلى جانب الأوضاع العامة للتنمية غير المتوازنة.

ثالثًا: الحرب الأهلية في ديسمبر ٢٠١٣

لا يتسع المقام في هذه الورقة للشرح الوافي للأسباب الكامنة وراء الحرب الأهلية في جنوب السودان، التي اندلعت في ١٥ ديسمبر ٢٠١٣، ، لكن ما يهمنا هنا في هذا السياق هو ما يعتقده مقاتلو الجيش الأبيض بأنه سبب لاندلاع الحرب، أو بعبارة أخرى، ما هو السبب وراء حملهم للسلاح في مواجهة الحكومة. كذلك، من الأمور ذات الأهمية، المؤشرات الدالة على تغير إدراك المقاتلين للحرب بمرور الوقت. وركزت أكثر التحليلات الإعلامية، والأكاديمية على الأسباب المعجّلة أو المباشرة للحرب، وهي أسباب متناغمة بوجه عام مع تقرير خلص إلى أنها:

انقسامات سياسية داخل الحزب الحاكم... سرعان ما تطورت إلى عنف في العاصمة جوبا، مما أدى إلى انشقاقات في صفوف الجيش، وحشد لمدنيين، وأثار الاستهداف الوحشي للمدنيين على أسس عرقية إدانة المجتمع الدولي (Breidlid and Arensen, 2014، ص. ٣).

واعترف تقرير آخر بأهمية ما أطلق عليه "مذبحة جوبا"، لكنه خلص إلى أن:

الاختلافات السياسية بين الفصيلين المتنازعين في الجيش الشعبي لتحرير السودان قد تردت إلى درجة أن تحولت إلى حرب أهلية واسعة النطاق. وبينما كانت الأسباب الأساسية ذات طبيعة سياسية، اتخذ الصراع منحى عرقي أسفر عن نزاع بين أكبر جماعتين عرقيتين في جنوب السودان وهما الدينكا، والنوير (Adeba, 2014، ص. ٥).

ويمكن الاقتباس من الكثير من التحليلات، والتقارير الإعلامية، حيث رأت جميعها تقريبًا أن السبب الرئيسي لاندلاع الحرب هو الصراعات داخل قيادة الحركة الشعبية لتحرير السودان. والاقتباسان المذكوران أعلاه صارا بارزين لأنهما أُخذا من دراسات أكاديمية للجيش الأبيض، لكن لم يستطع أي منهما أن يضع الاعتبار، بشكل ملائم، لأسباب خوض مقاتلي الجيش الأبيض القتال ضد الحكومة، وكيف انجبهم رحم الحرب الأولى، وكيف تم حشدهم، وما الذي كانوا يبتغونه من وراء تلك الحرب. ويعد هذا الأمر مثير للاستغراب، فقد تبينت صعوبة وندرة حشد فلاحين، ورعاة ماشية، ودفعهم نحو الانخراط في قتال مستمر استنادًا إلى أهداف سياسية في أفريقيا. ورغم الأهمية الشديدة للأسباب التي دفعت شباب النوير نحو خوض الحرب، فنادراً ما تُحظى تلك الاسباب باهتمام في التقارير الإعلامية والدراسات الأكاديمية، أو يتم تناولها في مفاوضات سلام الهيئة الحكومية الدولية المعنية بالتنمية.

جاءت ردود المقاتلين على الأسئلة عن سبب نشوب الحرب، ودوافع قتالهم للحكومة، واضحة وبالاجماع: وهي أنهم خاضوا الحرب بسبب قتل الجيش الشعبي لتحرير السودان للمدنيين النوير في جوبا في منتصف شهر ديسمبر ٢٠١٣. وكان شعور المقاتلين بعدم القدرة على التصديق، والغضب، والأذى، الذي نجم عن ذلك الحدث، مماثلا لشعور أفراد النوير الآخرين. ورغم أن المحللين قد رأوا أن قتل الجيش الشعبي لتحرير السودان للمدنيين النوير كان بسبب نزاع النخب من الدينكا والنوير على السيطرة على البلاد، فإن هذا الطرح لم يجد له من يدعمه سوى مقاتل واحد فقط[٦]. ومع ذلك فقد أوضح ذلك المقاتل أن ما دفعه على القتال هو عمليات القتل التي وقعت في جوبا.

نفى المقاتلون أن يكون حشدهم قد تم من قبل أطراف فاعلة خارجية مثل رياك مشار، أو أي فرد من قيادات الحركة الشعبية لتحرير السودان في المعارضة. فخلال المرحلة الأولى من الحرب، تجمع كل المقاتلين تقريباً عقب أحداث جوبا بشكل تضامني بدافع الرغبة في الانتقام ولإنقاذ عائلاتهم وأصدقائهم المعرضين للخطر، في المدن الخاضعة لسيطرة الحكومة. وبالفعل سخر المقاتلون ممن تم إجراء مقابلات معهم من الطرح القائل بحشد أي مجموعة خارجية لهم لأجل القتال. وقال أحد القادة: "أي شخص يقول بذلك كاذب"[٧]. وقال مقاتل شاب من الجيكاني الشرقيين، وأيده رفاقه فيما قال: "لم يكن رياك يحب القتال، وبالتالي لم يكن يحب الجيش"[٨]، لذا لم يكن ليلعب دورًا في حشدهم، وعلى كل حال، لم يكن رياك قريبًا منهم في بلدة الناصر عندما بدأوا تمردهم ضد الحكومة.

وهذا أمرٌ هام لأن رياك زعم في شهادته أمام لجنة الاتحاد الأفريقي للتحقيق في جنوب السودان أنه كان متحكماً في قوات المعارضة المسلحة، بما في ذلك الجيش الأبيض، منذ وصوله إلى بانياجور بالقرب من بور في ١٧ ديسمبر ٢٠١٣ (لجنة الاتحاد الأفريقي للتحقيق في جنوب السودان، ٢٠١٤، ص. ١٢٦). وكذلك أقنع رياك الهيئة الحكومية الدولية المعنية بالتنمية (الايقاد) أنه كان متحكماً في كل القوات التي تقاتل الحكومة، وعلى هذا الأساس تمت دعوته للمشاركة في مفاوضات السلام في آديس آبابا، ولتمثيل تلك القوات. ربما إدراكًا منه بالمشكلة؛ و إعترف رياك في مقابلة "بصعوبة التحكم" في الجيش الأبيض و"افتقار عناصره للانضباط" (Davison, 2014). ولم يُطلب من مقاتلي الجيش الأبيض تمثيلهم في مفاوضات الهيئة الحكومية الدولية المعنية بالتنمية (الايقاد) بين رياك و الحركة الشعبية لتحرير السودان في المعارضة ، أو إخبارهم بذلك، أو الحصول على موافقتهم على ذلك. وكانت شهادة لام أكول أمام لجنة الاتحاد الأفريقي للتحقيق في جنوب السودان التي ذكر فيها بأن رياك "استولى على تمرد لم يكن يخصه". (لجنة الاتحاد الأفريقي للتحقيق في جنوب السودان،

٢٠١٤، ص. ١٣١) تفسيرًا أكثر إقناعًا من تصديق حديث رياك، كما فعل الاتحاد الأفريقي و الهيئة الحكومية الدولية المعنية بالتنمية.

ورغم أن اللجنة قد وجدت أن "عمليات القتل على أساس عرقي" للنوير كانت مرتبطة بـ"سياسة الدولة" (لجنة الاتحاد الأفريقي للتحقيق في جنوب السودان، ٢٠١٤، ص. ٢٢٥)، فإنه حتى هذه اللحظة، لم يتم اتخاذ أي إجراء للتصدي للأمر، ناهيك عن وضع حد للمسألة. ورفضت لجنة الاتحاد الأفريقي للتحقيق في جنوب السودان، وبشكل حاسم، ودون إبداء أي أسباب، الزعم الذي كان يحظى بقبول مقاتلي الجيش الأبيض بأن جماعتهم كانت ضحية لعملية إبادة. إضافة إلى ذلك، خلصت اللجنة إلى عدم إمكانية عمل أي مصالحة إلى حين أن تتم "محاسبة من كان لهم الضلع الأكبر من المسؤولية في الأعمال الوحشية من الذين يحتلون أعلى المستويات الرفيعة" (لجنة الاتحاد الأفريقي للتحقيق في جنوب السودان، ٢٠١٤، ص. ٣٠٠). مع ذلك، فقد أدى تكرار رفض مجلس السلم والأمن التابع للاتحاد الأفريقي لإصدار التقرير، والرفض، بعد إصداره أخيرًا، لنشر قسم حاسم منه يحدد المتهمين بعمليات القتل، إلى تفاقم المشكلة، ومثل تناقضًا مع النتائج التي توصل إليها المجلس نفسه. ونتيجة لذلك، فإن مشكلات من تسبب في اندلاع الحرب، ولماذا تعرض النوير لعمليات القتل الجماعي في جوبا، وأسباب رفض التقرير الاستنتاج بأن "عمليات القتل على أساس عرقي" لم تكن تشكل إبادة جماعية، قد اثارت غضب وسخط النوير. ولم تساهم لجنة الاتحاد الأفريقي للتحقيق في جنوب السودان إطلاقًا في حسم هذه القضايا الساخنة. وكذلك، تفاقمت المشكلة بسبب رفض المجتمع الدولي الاعتراف بأنه بالرغم من الجرائم التي لا شك في وقوعها، التي ارتكبتها قوات النوير المعارضة (خاصة الجيش الأبيض)، فإن عمليات القتل الجماعي للمدنيين النوير في جوبا كانت هي التي أشعلت فتيل الحرب. وتم توضيح ذلك بجلاء في مقابلات أجريت مع مقاتلي الجيش الأبيض، الذين لم يشيروا ولا حتى مرة واحدة إلى أن النزاعات والخلافات في قيادة الحركة الشعبية لتحرير السودان هي السبب وراء نشوب التمرد ضد الحكومة. ولقد كان تجاهل القضايا المثيرة للجدل، والتقليل من شأنها وأهميتها، من ملامح محاولات إقرار السلام في السودان، وجنوب السودان (يونغ، ٢٠١٢)، لكن ذلك كان بلا شك يزيد المشكلة سوءًا.

بينما كان الدافع، بشكل واضح، وراء الهجمات الأولى التي شنها الجيش الأبيض، والاستيلاء على بور، وملكال، هو الانتقام، فإن دوافع المقاتلين، على الأقل القادمين من منطقة أعالي النيل، أصبحت أكثر تعددًا، وتنوعًا. وعند عودة المقاتلين إلى ديارهم، بعد سيطرتهم على ملكال وانسحابهم منها في يناير ٢٠١٤، كانت في انتظارهم اتهامات من جماعتهم تتهمهم بالتخلي عن رفاقهم النوير في عاصمة

أعالي النيل، حيث تركوهم عرضة لانتهاكات قوات الجيش الشعبي لتحرير السودان، وحكومة الحركة الشعبية لتحرير السودان بعد عودتها. وبعد تعرضهم لنقد قاس في حينه، عادوا للاستيلاء على ملكال مرة أخرى في فبراير، وانخرطوا في قتال دامي، لكن هذه المرة كان الدافع هو الانتقام لما وقع من عمليات قتل في جوبا، إضافة إلى ما رأوه من انتهاكات مستمرة للنوير، والحاجة إلى تحريرهم في ملكال. ومع ذلك، هناك مؤشرات يتحجج بها حاكم السوباط المنتمي إلى الحركة الشعبية لتحرير السودان- جناح المعارضة، ديور توت، بأن مقاتلي الجيش الأبيض قد اتخذوا موقفًا حاسمًا لاحقًا بشأن الحرب جعلهم يفكرون فيها من منظور أقرب إلى المنظور السياسي[٩].

رابعًا: السُّلْطَة والتراتبية في الجيش الأبيض

وفقًا لوصف إيفانز بريتشارد (١٩٤٠) لنظام الحكم في قبيلة النوير في القرن الماضي، لم يكن اتخاذ القرار والقيادة في جيش النوير الأبيض مركزيًّا، بل كان تنظيم الجيش أمراً عشائرياً؛ حيث يكون رئيس العشيرة هو القائد الأول، ثم تتدرج الرُّتَب إلى أسفل عبر فروع العشائر. وبينما يتم في كل مستوى اختيار ممثل لكل عشيرة بناءً على توافق الآراء فإنه ليس هناك رُتَب رسمية؛ فحتى تنظيم التعبئة الشعبية والاجتماعات والدعم، مثل توفير المؤن والطعام للمقاتلين، يجري على مستوى فروع العشيرة. إن الجيش الأبيض منفصل تمامًا عن هيكل الجيش الأسود أو الجيش التقليدي (جيش الحركة الشعبية لتحرير السودان – في المعارضة)، ونادرًا ما يُقِرُّ بعض المقاتلين بوجود ذلك الجيش الأسود لأن أفراده قليلون (هم في الغالب جنود سابقين في الجيش الشعب لتحرير السودان). يقول مقاتلو الجيش الأبيض إنه خاض قتالاً طفيفًا في أعالي النيل من جهة الشرق. ويُشترَط في المتقدمين للمناصب القيادية في الجيش الأبيض أن يَتحلَّوا بالشجاعة، وأن يكونوا ملائمين لأداء أعمالهم، وأن يكونوا قادرين على حَلِّ النزاعات الداخلية بين الشباب مما يشير إلى الطبيعة المشاكسة للشباب الذين يتشكل منهم الجيش الأبيض. ليس للمناصب آماد محددة، وكما أن اختيار القادة يتم بإجماع الآراء، فإن عزلهم ممكن في أي وقت بالطريقة ذاتها. إن قادة العشيرة وحدهم هم الذين يتمتعون باتصال مباشر ومنتظم بقادة جيش الحركة الشعبية لتحرير السودان - جناح المعارضة، ولكن يجب أن يوافق أعضاء العشيرة على أي قرار بالتعاون مع الحركة الشعبية لتحرير السودان – جناح المعارضة في الإجراءات العسكرية؛ وهذا يبدو انه نادراً ما يحدث إذا كان يمكن قبول شهادات مقاتلي الجيش الأبيض في ذلك. وفي الواقع، فإن لديّ كل مقاتلي الجيش الابيض تقريباً آراء سلبية للغاية حول الجيش الأسود حتى وان ظهر احترام لبعض القادة. وهكذا يتردد مرة اخرى التشديدعلى ضعف ادِّعاءات الحركة الشعبية لتحرير السودان- جناح المعارضة لتمثيل الجيش الأبيض.

لكل رئيس عشيرة قصته الخاصة، لكنَّ أوكدور شول دايت ، قائد الجيش الأبيض لجيكاني الشرقية، والذي نال سمعةً وشعبيةً بسبب مهاراته في سرقة الماشية من عشيرة لو- وهي مهارات قابلة للإنتقال والتحول لتناسب دوره في قيادة قوات مسلحة غير نظامية في الحملة ضد الحكومة وبالتحالف مع لو. وُلِد أوكدور في غيجمير، وهو من عائلة محترمة. وقد ساعده اللواء جاروث جاتكوث في تولِّي القيادة عندما

كان مُفوَّض منطقة الناصر، خلال الحرب، وعندما كان قائدًا في قوات دفاع جنوب السودان. وبعد توقيع اتفاقية السلام الشامل، عندما صار جاروث عضواً من ناحية شكليّة في الجيش الشعبي لتحرير السودان. وفي تصرف مثير للجدل تعاون جاروث مع الجيش الأبيض المحلي تحت قيادة أوكدور؛ لتوفير الأمن في ظل غياب موارد لدعم قوات شرطة محلية فعالة لضعف إمكاناتها، وفقاً لشيوخ من جيكاني الشرقية[١٠]. ولشيوخ القرية وكبار السن نفوذ كبير على الجيش الأبيض (تحت قيادة جاروث)، وقد أثبت انه كان فعالاً في ضمان السلام في المناطق الريفية، ومواجهة غارات لو لسرقة الماشية. ولم يختلط مقاتلو الجيش الأبيض بالمواطنين، بل إلتزموا بشكل عام بالقانون بعدم حمل الأسلحة في القرى والمدن، وإن حدث أن خالف أحدهم القانون، كانت السلطات التقليدية تُعاقبه. كان جاروث يؤسس مليشيات خاصة به، مما أثار حالة من القلق في جوبا؛ حيث كان جاروث ضابطاً كبيراً سابقاً في قوات دفاع جنوب السودان، لكن الجيش الأبيض كان جزءًا من المجتمع، ورغم تعاون جاروث معه، مارس رؤساء القبائل سُلطة حقيقية عليه.

وصف أحد مقاتلي الجيش الأبيض المتعلمين من مهاجري الشتات، (أوكدور) بأنه راعي بقر (وذلك وصف غير واقعي؛ حسب القصص التي كانت تُروى عنه)، بينما دافع شيوخ وكبار السن من قبيلة النوير عن أوكدور وقالوا إنه والجيش الأبيض كانا يوفران أمناً أفضل مما كان عليه الحال قبل تعاون جاروث معه، أو بعد عزل جاروث من منصبه كمُفوَّض.[١١] وأقدم جاروث قبل فصله، على ترقية أوكدور، الذي لم يعمل قَطُّ في الجيش، إلى رُتبة عميد. وفي وقت كتابة هذه السطور مُنِح أوكدور تدريبًا عسكريًّا رسميًّا، واندمج في الجيش الأسود (الحركة الشعبية لتحرير السودان – جناح المعارضة). وقد حَلَّ مَحلَّه بول تانغ كوم وونغ، الذي كان نائبًا له، وكان يُعرَف أيضًا بالمقاتل الشجاع؛ إذ كان دائمًا في الصف الأمامي مع رفاقه في المعركة، فضلاً عن أنه مُتحدِّث جيد. وفي هذه الأثناء، أبعد بديل جاروث، المفوض الجديد داك تاب، مقاتلي الجيش الأبيض، وارتفع مستوى الجريمة حتى استاء المجتمع المحلي من وجوده. وفي بداية الحرب الأهلية، أُطيح بداك وعَيَّن أوكدور نفسه مفوضًا حتى تتم ترتيبات تعيين شخص من طرف الحركة الشعبية لتحرير السودان- جناح المعارضة.

وفي عام ٢٠١٥، عُيِّن دور توت- الاقتصادي الذي تلقى تدريبًا في فرنسا، والمفوض السابق بأولانغ، حاكمًا لولاية السوباط (تحت نظام رياك مشار لـ ٢١ ولاية، والمستند إلى النظام الاداري للاستعمار البريطاني). ورغم أنه جاء خلفاً لجاروث، فإن أفكارهما عن الجيش الأبيض كانت متماثلة. ولذلك سعى دور إلى جعل الجيش الأبيض يساعد في توفير الأمن بدلاً من أن يُشكِّل خطرًا على الأمن؛[١٢] ولكنه

ذكَر أن الجيش الأبيض كان في البداية غير منضبط، وأنه تسبب في وقوع اضطرابات في المجتمع المحلي. ولذلك، كرَّس هو نحو ستة أشهر لعقد اجتماعات مع المجتمع المحلي ومجموعات الجيش الأبيض في مختلف أنحاء الولاية؛ لتهدئة الأوضاع، وتعليم المقاتلين أهمية احترام القيم المحلية والقانون. وقد حقق هدفه الذي كان يهدف إليه في يونيو ٢٠١٥، وهو الحفاظ على الجيش الأبيض تحت السيطرة من خلال زعماء القبائل. وقد ربط كتائب الجيش الأبيض بقوات الشرطة المحلية ضعيفة الموارد والعدد، وبذلك، صار الجيش الأبيض في نظره "قوى إيجابية لتحقيق الأمن". وبالإضافة إلى ذلك، قال دور إن عملية تعليميّة دؤوبة جعلت الكثير من مقاتلي الجيش الأبيض يُدرِكون أن السعي للانتقام وقتل الدينكا أمر لا يؤدي إلى أي نتيجة، وأن المشكلات السياسية – مثل الحاجة إلى المدارس والمرافق الصحية تحتل الصدارة بشكل متزايد [١٣].

وتشير تجربة ولاية السوباط إلى أنه، وبغَضِّ النظر عن الجرائم التي يرتكبها بعض أفراد الجيش الأبيض في المعارك للسيطرة على المدن التي كانت تحت سيطرة الحكومة، فإن من الممكن على الأقل توجيه الأمر، إن لم يمكن تحقيق السيطرة الكلية، لأن يكون الجيش عنصرًا هامًّا في أمن المجتمع المحلي. وعلى المنوال نفسه، تأتي الأفكار التي طرحتها (مؤسسة الجيش الأبيض)، وهي مجموعة من مقاتلي الجيش الأبيض من المهجر (الشتات). ويحاول أنصار هذه المجموعة نشر أفكار الأمن المجتمعي، التي تحمل تشابهًا مميزًا مع التجربة التي حدثت في منطقة الناصر[١٤]. وتقترح المؤسسة تبنِّي البرامج التي نفَّذتها دول أخرى، بما في ذلك برامج الجبهة الثورية الديمقراطية الشعبية في إثيوبيا؛ حيث احتفظ المجتمع المحلي بأسلحته في البداية، بشرط استخدامها فقط في مجال الدفاع عن النفس، إلى أن استغنى عنها في النهاية كليًّا[١٥]. ويمكن أن تُمثِّل تلك الأفكار أو التجربة في السوباط نموذجًا للمناطق الأخرى، أو تعكس الظروف الفريدة في الدولة؛ تحت قيادة (دُور) الحكيمة. ورغم ذلك، ونظرًا لندرة الرؤى حول أمن جنوب السودان في المستقبل والتجربة الكارثية لمحاولة قمع الجيش الأبيض من خلال حملات نزع الأسلحة، فإن هذه الأفكار تتطلّب إجراء مزيد من الدراسة حولها. لكن المقترحات حول أمن المجتمع ليست سوى عنصر واحد فقط – أساسي، ضمن جهد أكبر لمنح الشباب صوتاً حول مستقبلهم، ومساعدتهم على تجاوز تهميشهم سياسياً.

كان نظير أوكدور في جيش لو- نوير الأبيض هو بوردوانغ لي من باثي بايوم في محلية أورور، والذي ينتمي إلى عائلة مرموقة. وكان قتل الجيش الشعبي لتحرير السودان لوالده عام ١٩٩١ حافزًا له على القتال، فالتحق بالجيش الأبيض، وشارك في الهجوم على بور في العام ذاته. كما أنه كان جزءاً من

الجيش الأبيض الذي عارض حملة الجيش الشعبي لتحرير السودان لنزع السلاح عام ٢٠٠٦، المذكورة أعلاه؛ لكنه نال مكانة بارزة في حرب لو ضد المورلي، خاصة أثناء الهجمات التي شنتها قبيلة المورلي في بيري عام ٢٠١٠، والتي قُتِل فيها المئات. وبعدها، صار زعيم عشيرة معترفاً به في الجيش الأبيض، ولطالما كان دائماً في الصفوف الأولى في المعارك. وقد وُصِف بأنه متحدث بارع، كما كان من المؤمنين بالعقيدة الرستفارية. وقد كان قائدًا أثناء الحرب الأهلية في ديسمبر ٢٠١٣، وقاد القوات إلى بور لينقذ المنتمين لعشيرة لو، الذين كانوا في خطر داخل العاصمة جونقلي. صحيحٌ أن مهمة الهجوم على جوبا قد أُلغِيت، لكنه كان قائد القوة التي كانت تأمل في الاستيلاء على جوبا.

ومثل أوكدور، كان بوردوانغ وقت كتابة هذه الورقة، يتدرَّب ثم التحق بقوات الحركة الشعبية لتحرير السودان – جناح المُعارِضة، وفقًا للبعض- مكافأةً له على مساهماته في الكفاح المسلح، لكنَّ أحد كبار السن من لو- نوير من منطقة والجاك أصرَّ على أن بوردوانغ تقاعد؛[١٦] لأنه كان في العقد الرابع من عُمْره، ولا يمكنه منافسة مقاتلين هم في سن الـ ١٨ عامًا. وعلى العكس منه كان رئيس قبيلة جاوار، جاتور مابوار، شابًّا صغيرًا، لكنه التحق بالقوات التقليدية. وعند إتمام أوكدور وبوردوانغ لتدريبهم العسكري، عُيِّنا عميدين في القوات التقليدية. كان مقاتلو الجيش الأبيض يَرَوْنَ هذين القائدين العشائريين ممثلَيْن لهم في القوات العسكرية للحركة الشعبية لتحرير السودان – جناح المعارضة، وتوقَّعوا منهما التعبير عن مصالحهم. لكن يُعتبر هذا أمراً شائكاً؛ لأنه لم يكن باستطاعة الضباط العسكريين تمثيل مصالح مجتمعاتهم، ولم يكن ممكنًا تحديد مصالح مقاتلي الجيش الأبيض بسهولة. كان مقاتلو الجيش الأبيض المُتعلِّمون يَرَوْنَ أن انضمام رؤساء القبيلة إلى القوات النظامية للحركة الشعبية لتحرير السودان – جناح المعارضة يهدف الى رشوتهم، وتقليل التهديد الذي يمثلونه بتأثيرهم على المقاتلين. وقد كان ذلك تفسيرًا أكثر واقعية.

ذكر رؤساء عشيرة لو إن الجيش الأبيض قبل الحرب الأهلية استغلَّ السُّلْطَة والأسلحة في إزعاج مجتمعه، كنظيره في جيكاني الشرقية. وقد قال جوي جوك يول، المفوض بأكوبو خلال الفترة بين مارس ٢٠٠٩ ومارس ٢٠١٣، إنه لا مفوض في شرق أعالي النيل يمكنه توفير الأمن لمجتمعه دون التعاون مع الجيش الأبيض[١٧]. وقد خلفه بكوانغ رامبونك تشول، الذي آمن بالفلسفة ذاتها. ومثلما حدث في مدينة الناصر وولاية السوباط، رأى قادة الحركة الشعبية لتحرير السودان - جناح المعارضة الذين ينتمون إلى لو- نوير في ذلك وسيلة لمحاولةً دمج الجيش الأبيض في جهاز الأمن المحلي.

قبِل المجتمع بحق الشباب في اختيار قادتهم لكن إلى أن توحدت عشيرة لو- نوير حول الكفاح ضد

المورلي، بل وحتى ضد الحكومة، لم يكن للزعماء سُلْطَة عليهم. ومع ذلك فقد أدت هذه الصراعات الشعبية، إلى دور متزايد للمجتمع المحلي ككل، ومنذ ذلك الحين تحسَّن سلوك الشباب. ومن حيث المبدأ فإن هيكلية الجيش الأبيض تختلف عن هيكلة الجيش التقليدي، لكنه عندما لا يُفعّل الجيش الأبيض لخوض حرب فان أفراده يظلون في إطار الهيكل التقليدي للجيش. وبينما لا يملك الزعماء من كبار السن قراراً فيما يتعلق بالمخاوف العسكرية الشديدة من الجيش الأبيض باعتباره مجموعة منفصلة، فإنهم قادرون على تقديم النصح للشباب عن كيفية التصرف عند مهاجمة مواقع الحكومة، وكيفية احترام حقوق المدنيين. لكن يبدو أن الانقسام بين الزعماء ومقاتلي الجيش الأبيض لم يكن رسمياً؛ إذ يستند إلى أن الزعماء كانوا دائمًا أكبر سناً من المقاتلين، ولم يكونوا قادرين بدنيًّا على مجاراتهم. قال الرئيس تشول جاتبيل إنه شارك في كافة حملات الجيش الأبيض الرئيسية في أعالي النيل؛ لأنه يستطيع الجري بسرعة رغم كِبَر سِنِّه[١٨].

قال رئيس عشيرة لو، الذي كان قد عمل مع الجيش الأبيض، أنه مقتنع بأن المقاتلين إذا خضعوا لرقابة أكبر من المجتمع وتوفَّر لهم تعليم أفضل، لن يعودوا لسرقة الماشية في جيكاني الشرقية[١٩] وحتى لو تحقَّق السلام؛ ولكن رأيه ليس هو الرأي السائد بين مَن أُجرِيت معهم مقابلات. وعلى كل حال، فإن المقاتلين والزعماء يصرُّون على أن الحرب لم تَنْتَهِ ولن تنتهي إلى أن يتم عزل سيلفا كير، المُحرِّض على مذبحة جوبا. وقد شكا اثنان من مقاتلي لو- نوير الأكثر تعلُّمًا، الذين أُجرِيت معهما مقابلات لهذه الدراسة، من أن المجتمع الدولي تآمر حتى يظل سيلفا في منصبه. ويسود بين مقاتلي لو- نوير المتعلمين غضبٌ من مقترح الحكومة للنظام الاتحادي لـ ٢٨ ولاية، والخوفٌ من أن ذلك وحده قد يعيد البلاد إلى الحرب، ولكنهم يعترفون بأن الكثيرين في العشيرة، وخاصة الشباب، لا يعلمون بهذا المخطط. ويرى بعض الشباب المتعلمين أن رياك مشار يعارض الحرب، وأنه بسبب نفوذه على الزعماء فإنه كان قادرًا على وقفها قبل تحقيق أهداف الحركة الشعبية لتحرير السودان - جناح المعارضة. ولذلك، يريد الشباب العودة إلى الحرب و"إكمال انجاز المهمة؛ "على حد قول أحد المقاتلين[٢٠].

أما مقاتلو الجيش الأبيض، فإنهم يصرون بأن رياك ليس له نفوذ على أعمالهم، لا سيما في المجال العسكري؛ ولكن هذا ليس صحيحًا تمامًا.

أولاً، رياك له نفوذ على الزعماء والحكماء من كبار السن (الذين يبسطون نفوذهم على الجيش الأبيض، وإن كان ذلك في ظلِّ الظروف التي تم وصفها أعلاه)، ويعود جزءٌ من ذلك إلى جهوده لتقديم نفسه لقبيلة النوير على أنه مُحقِّق نبوءة جَدِّ القبيلة الأكثر أهمية، الحكيم "نغوندينغ بونغ"؛ حيث يسود

الاعتقاد على نطاق واسع بين أبناء قبيلة النوير أن نغوندينغ بونغ تنبَّأ في أوائل القرن العشرين.بأن رجلاً أعسر(مستخدم ليده اليسرى) من سلالة جد رياك مشار سيكون زعيمًا عظيمًا لشعبه وقد حاول رياك تقديم نفسه على أنه ذلك الحفيد، وقبل فترة وجيزة من اندلاع الحرب الأهلية دعَّم دعواه بحصوله على دانغ(عصا) نغوندينغ من بريطانيا؛ حيث كانت قد سُلِبت[٢١]. ويعد هذا الربط بين الماضي والنبوءة ذا تأثير وسط ذوي العقول التقليدية والزعماء ، ولكنَّ مقاتلاً واحدًا فقط من الجيش الأبيض كان قد أشار إلى نغوندينغ.[٢٢] بينما أشار العديد من المقاتلين إلى الحكيم داك كويث، أحد أتباع نغوندينغ والمتزوج من إحدى حفيداته.

ثانيًا، اكتسب رياك مصداقية كبيرة بين أفراد قبيلة النوير بتحديه لزعيم الحركة الشعبية لتحرير السودان، جون قرنق، الذي كان تجسيدًا لسُلْطَة قبيلة الدينكا، ومُضطهِدًا لقبيلة النوير، رغم الإدانة واسعة النطاق لرياك بسبب الهجوم على دينكا- بور عام ١٩٩١. ومع ذلك، فمع أن الهجوم على بور كان له تأثير هائل في التطورات السياسية في جنوب السودان، فإن عدداً قليلاً من مقاتلي الجيش الأبيض الحالي شاركوا في تلك الحملة، أو كانوا قد تقدَّم بهم العُمُر في ذلك الوقت بما يكفي لئلا يكون لها أي تأثير على آرائهم.

ثالثًا، حضر بعض قادة الجيش الأبيض مؤتمر حزب الحركة الشعبية لتحرير السودان المعارضة في باجاك، أعالي النيل، في أواخر نوفمبر وديسمبر ٢٠١٤، وعقدوا اجتماعات منفصلة (يونغ، ٢٠١٥). ومع ذلك، وعلى غير المعتاد، لم يَجْرِ الإبلاغ عن وقائع جلسات الجيش الأبيض في الجمعية العمومية، ولم يشارك قادة الجيش الأبيض مباشَرةً في اجتماعات باجاك الأخرى أو المجالس القيادية.

رابعًا، حافظ رياك على التواصل المباشر مع الزعماء من كبار السن وغيرهم في الميدان، الذين، من جانبهم، مارسوا نفوذاً على الجيش الأبيض. ولهذا، في خِضَمِّ المعركة، لم يكن من المألوف أن يتحدث رياك هاتفيًّا مع قائد الهجوم، بل يتحدَّث مع الزعيم ليحصل على تقييمه للأمر.[٢٣] ولكن في السوباط، حلافاً لذلك، صادر المحافظ دور توت جميع هواتف القمر الصناعي؛ خوفا من أن تُستخدَم في نقل المعلومات إلى الحكومة.

خامسًا، عيَّن رياك شخصيًّا كل القادة العسكريين للحركة الشعبية لتحرير السودان المعارضة – جناح المعارضة، والتقى بهم، وبلا شكٍّ مارسوا تأثيرهم على زعماء العشائر من الجيش الأبيض، وزودوهم بالدعم في بعض الأحيان، و ساعدوهم، احياناً أخرى، في تنسيق عمليات القوات النظامية وغير النظامية.

وأخيرًا، وربما الأكثر أهمية، كان تحدِّي سُلْطَة رياك خلال الحرب الأهلية الحالية يمثل خيانةً

وتقويضًا لكيان القبيلة؛ إذ رأى أبناء قبيلة النوير – وهم مصيبون تماماً- أن قبيلتهم تحت الحصار، وأن عدد أصدقائهم قليل جدًّا، سواء في جنوب السودان أو دوليًّا. وقد ظهر ذلك جليًّا في الانتصار السياسي على قادة المُعارَضة في منتصف عام ٢٠١٥. ورغم أن هؤلاء القادة كانوا يَحْظَوْنَ باحترام كبير من أبناء النوير، وانحازوا بشكل كبير لهم في القضايا الخلافية (مثل: التفاني في الحرب، وإنهاء علاقاتهم بالحركة الشعبية لتحرير السودان، وإعطاء الجيش صوتًا أكبر في الحركة الشعبية لتحرير السودان - جناح المُعارِضة؛ وغير ذلك)، إلاّ أنهم بمجرد انشقاقهم أدانتهم الحركة الشعبية لتحرير السودان - جناح المُعارِضة، بالرغم أنه يمكن التحجّج بأن رياك قد عجَّل بظهور المشكلة بسبب عدم انصياعه للإرادة الشعبية في هذه المسائل (يونغ، ٢٠١٥).

خامسًا: تغيرات طرأت على الجيش الأبيض

كان إنشاء الجيش الأبيض عام ١٩٩١ – على النحو المشار إليه أعلاه- بهدف محدد وهو القيام بما اعتقد معظم المقاتلين أنه يتعلق بالثراء من خلال المشاركة في عمليات السلب والنهب، والانتقام لمختلف الجرائم المنسوبة إلى جون قرنق. وتميَّز الجيش الأبيض بعد مرور خمسة وعشرين عامًا بأمرين اثنين هما: الاستمرارية، والتغيّر. وتكمن الاستمرارية في حقيقةٍ أن الهدف الأساسي من إنشاء الجيش الأبيض لا يزال الدفاع عن أصول ممتلكات المجتمع، والذي يعني على مستوى الممارسة قطعان الابقار. ومع ذلك، فإن انتشار الأسلحة الحديثة بين الشباب ساهم في جعل الجيش الأبيض قوة غير خاضعة للمساءلة في مجتمعه، ومن ثَمَّ اضعف من السلطات التقليدية. وهي عملية انتهجها على أي حال قادة الجيش الشعبي لتحرير السودان، الذين رأوا أن الرؤساء متخلفون ويمثلون تهديدًا لرغبتهم في امتلاك السُّلطة الكاملة في جنوب السودان. ولكن الصعوبة المتزايدة في الحصول على أسلحة في السنوات الأخيرة، واندلاع حرب أهلية في ديسمبر ٢٠١٣ ساهما في توحيد النوير، وتعزيز قوة السُّلطات التقليدية والإدارة المحلية والحركة الشعبية (جناح المعارضة). وعلاوة على ذلك، زعم الزعماء – بدرجة لم تكن على نفس القدر من الوضوح قبل الحرب- أنهم قادرون على فرض مزيد من السيطرة على المقاتلين، والتأثير فيهم قبل أن يذهبوا إلى المعركة؛ للحفاظ على حُسْن سلوكهم، حتى وإن أشارت الدلائل إلى أن المقاتلين لم يتبعوا مشورتهم هذه دائمًا.

وتماشياً مع هذا التطور ودعمًا له، التحق عدد متزايد من الشباب المتعلم بالجيش الأبيض. قد يُعزى ذلك إلى عدة عوامل: أولاً، تحقَّقت في إثيوبيا طفرة كبيرة في توفير المرافق التعليمية، ارتادها العديد من النوير الشرقيين. ثانيًا، وفَّرت الفترة الانتقالية الوجيزة في نهاية الحرب الأهلية السودانية الثانية فرص تعليم لم تكن موجودة من قبل. ثالثًا، فرَّ العديد من النوير المتعلمين من المدن الرئيسية - بور وملكال والناصر- بعد أن ألقَت الحكومة القبض عليهم، وانضم بعضهم إلى الجيش الأبيض. وأخيرًا، تزوَّد الجيش الأبيض منذ بداية الحرب في ديسمبر ٢٠١٣ بأعداد من النوير، الذين حصلوا على تعليمهم في الشتات. إن حصول شباب النوير على التعليم يعني أيضًا أنهم انتقلوا إلى مناطق مختلفة من ولايتهم أو دولهم أو خارجها، مما وسَّع آفاقهم التي لولا ذلك لبقيت محدودة تجاه مَن ليس من أبناء جِلْدتهم، وربما شجَّعهم التعليم على انتهاج المزيد من التفكير النقدي. ولا يمكن تقدير درجة تأثير هذه الطفرة

في التحصيل العلمي لمقاتلي الجيش الأبيض على وجه الدقة. ولا يمكننا إلا أن نخمن فقط – في الظروف الطبيعية- أن المزيد من التحصيل العلمي للمقاتلين سيجعلهم أكثر تقبُّلاً للأهداف السياسية، وأكثر قابلية للانضباط، وأقل اهتمامًا بالحرب المَبْنِيَّة على الانتقام والنهب.

يبدو أن متوسط عُمُر المقاتلين في الجيش الأبيض قد ارتفع من مستوى وجود الصبيان الصغار، الذين شكلوا معظم القوة في سنوات الجيش الابيض الأولى وحتى الوقت الحاضر؛ حيث إن من المألوف أن تجد مقاتلين في الثلاثين أو الأربعين من العمر. ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أن مصطلح "الشباب" كما يستخدمه النيليون يمكن أن يشير إلى من هم في سن ١٠ سنوات والى من تصل أعمارهم إلى ٤٥ سنة. وفي حين توصلت منظمات حقوق الإنسان إلى أن معظم المقاتلين في الجيش الأبيض من القُصَّر[٢٤]، فإن الصورة العامة المتداولة والمسلّم بها، التي انبثقت من هذه الدراسة البحثية، هي أن بالجيش الأبيض مقاتلين أكبر سناً في المتوسط وأفضل تعليمًا مما كانوا عليه في الماضي. وأفاد مقاتلون بأن الجيش الأبيض سمح لقلة من الصبيان، الذين تقلُّ أعمارهم عن ١٥ سنة بالانضمام إليه؛ لأن الأغلبية لم يستطع مواكبة الوتيرة السريعة المطلوبة، التي تتضمن غالبًا منافسات بين مجموعات فرعية من العشائر على مدى السرعة التي يمكن أن يصلوا من خلالها إلى وِجهتهم. وقال أحد مقاتليهم: "إن أهم شيء لمقاتل الجيش الأبيض هو أن يكون قادرًا على الركض السريع[٢٥]"

لم يقبل الجيش الأبيض إلتحاق الفتيات به[٢٦]، والسبب الرئيسي الذي قدمه المقاتلون والنساء هو أن خوض النساء للقتال ليس من تقاليد النوير، كما أشاروا إلى افتقار النساء إلى التدريب العسكري، وعدم قدرتهنَّ على الركض السريع. لكن هذه الأسباب الأخيرة تبدو غير واقعية؛ إذ إن نساء المجتمعات المُحافِظة مثل إريتريا وإثيوبيا قد شَكَّلْنَ نسبة كبيرة من المقاتلين في الحرب ضد الديرغ. وعلاوة على ذلك، هناك نساء في القوات النظامية في كل من الجيش الشعبي لتحرير السودان، والحركة الشعبية لتحرير السودان - جناح المعارضة؛ فضلاً عن وجودهنَّ في الشرطة وقوات الحياة البرية، وعملهن في قوات حرس السجون. وبالإضافة إلى ذلك، فإن مَن يشغل منصب رئيس الحركة الشعبية لتحرير السودان - جناح المعارضة –ويشغل بحكم موقعه ذاك منصب وزير الدفاع– امرأةٌ تُدعَى أنجلينا تيني، لم تكن لديها خبرة عسكرية سابقة.

يرى العديد من أعداء الجيش الأبيض على الصعيد الداخلي في جوبا، وعلى الصعيد الدولي، أن الجيش الأبيض يتكون من شباب يتميزون بالعنف، ولا يمكن السيطرة عليهم. وبينما كان عدد كبير من المدنيين من النوير يحملون مثل هذا الرأي قبل ثماني أو عشر سنوات، لم يَزَلِ الحال على ما هو عليه

في الوقت الحاضر. ولن ينتقص هذا من التقارير المُوثَّقة جيدًا حول انتهاكات الجيش الأبيض للمدنيين الموجودين في المدن التي تسيطر عليها الحكومة، ولكن وكما لوحظ، لم تَعُدْ هناك أدلة على السلوك السيئ الذي ينتهجه المقاتلون في أراضي النوير مثلما كان الحال قبل بضع سنوات. وبينما لا يزال قتل الدينكا يجد صداه بين المقاتلين، فإن المقابلات التي أجريناها في شهرَيْ يناير وفبراير ٢٠١٦ لم تشدّد على هذ الأمر؛ عكس المقابلات التي أجراها كاتب هذه الورقة في العام السابق مع مقاتلي الجيش الأبيض. فبينما الأصغر سِنًّا والأقلّ تعليمًا من مقاتلي الجيش الأبيض، الذين أجرى كاتب هذه الورقة معهم مقابلات، لا يعمدون عادةً إلى انتقاد قيادة الحركة الشعبية لتحرير السودان - جناح المعارضة ورياك مشار، فإن المقاتلين الأكبر سِنًّا والأكثر خبرة أو تعليمًا كانوا يُعبِّرون عادةً عن غضبهم من القيادة التي وقَّعت اتفاق سلام لا يُعالِج القضية التي يقاتلون من أجلها، وهي قتل مدنيين من النوير في جوبا، وأبقَت في السُّلطة رئيسًا يُحمِّلونه مسؤولية عمليات القتل هذه (لكي نكون منصفين، حاول رياك وممثله في المفاوضات، تعبان دينج، مرارًا وتكرارًا طرح قضية عمليات قتل جوبا على طاولة المفاوضات، ولكن وسطاء الهيئة الحكومية الدولية المعنية بالتنمية (الإيقاد) وقفوا مع الحكومة في عدم معالجة هذه المسألة). ويقول معظم هؤلاء المقاتلين (والذين يجب أن نفترض أنهم قادة الرأي في الجيش الأبيض) إنهم ينتظرون الفرصة الملائمة، ويتوقَّعون استئناف الأنشطة العسكرية قريبًا. وقال أحد كبار المقاتلين بالجيش الأبيض من جقمير: "كنا نثق في رياك مشار والحركة الشعبية لتحرير السودان - جناح المعارضة، ولكننا أدركنا الآن أنهم تجاهلوا مصالحنا[٣٧]!" وقال أيضًا إن الجيش الأبيض قد تعلَّم من أخطائه مثل ترك البلدات التي كان قد سيطر عليها، وأنه لم تكن له فكرة واضحة عن الأهداف التي كان يقاتل من أجلها؛ لكنه زعم أن الجولة المقبلة من القتال – التي يظنُّ أنها واقعة لا محالة– سوف تشهد تغيرات كبيرة.

سادسًا: الجرائم ضد المدنيين

من غير المثير للدهشة أن التساؤلات التي تدور حول الجرائم المُرتكَبة ضد المدنيين خلال الغارات التي شُنَّت على بور وملكال، وغيرها من المراكز التي تسيطر عليها الحكومة، ليست مادة متداولة كثيراً بين المقاتلين في الجيش الأبيض، الذين قابلهم كاتب هذه الورقة في سياق هذه الدراسة. وانقسمت ردود المقاتلين عمومًا إلى شِقَّيْنِ، يمكن وصفهما بالمتناقضَيْنِ: أولهما، رفض المقاتلين الاعتراف بإرتكاب أيّ جرائم؛ وثانيهما، تأكيدهم على أن إساءتهم التعامل مع المدنيين من الدينكا لها ما يُبرِّرها؛ لأن رجال الدينكا مُدانين بقتل النوير في مجزرة جوبا. وهذا يعني أن المُبرِّر وراء إساءة معاملة المدنيين من الدينكا يكمن في الرغبة في الانتقام. وفي سياق أحداث ملكال، جادل بعض المقاتلين في أن أولئك الذين كانوا معادين للحكومة، فَرُّوا إلى مخيمات حماية المدنيين التابعة لبعثة الأمم المتحدة في جنوب السودان، أما الذين بَقُوا في المدينة فإنهم كانوا حلفاء للحكومة؛ ومن ثم هناك ما يكفي من المبررات للهجوم عليهم. وقال آخرون إنهم ساعدوا النوير المقيمين في المخيمات على المغادرة، وساعدوا النساء والأطفال المقيمين في المدينة على الدخول إليها، وتطوعوا بالقول بأنه تم قَتل كافة الرجال الذين وُجدوا في المدينة التي كانت تحت سيطرة الحكومة رميًا بالرصاص؛ بافتراض أنهم - أو من المحتمل أنهم- من جُند الحكومة الذين تخلَّوْا -عند مواجهتهم لهزيمة وشيكة- عن زِيِّهم الرسمي، وارتدَوْا ملابس مدنية. وتوضح حقيقة قتل كبار السِّنِّ من الرجال بصورة روتينية أن الانتقام كان هو الشغل الشاغل للمقاتلين وليس استناداً إلى ذلك المنطق. لقد كان الانتقام هو الدافع وراء عملياتهم، وليست الهوية العِرْقِيَّة المحددة حينما اعتبروا النوير - الذين ظلوا في حكومات الولايات بعد عمليات القتل في جوبا أو ظلوا في الجيش الشعبي لتحرير السودان- اعتبروهم من الدينكا وقتلوهم أيضًا.

وذكر كافة المقاتلين التابعين للجيش الأبيض ممن ينتمون إلى عشائر مختلفة أن مِن زعمائهم وقادتهم الملهمين، مثل داك كويث، مَن حذَّرهم من حرق أماكن طهي الطعام، أو الاعتداء على النساء أثناء الغارات؛. ومن بين الجيكانيين الشرقيين، جاء بعض الزعماء ليلتحقوا بالمقاتلين، وبعد عمليات الاستيلاء على مدينة حكومية ما كان هؤلاء يَدعون بإلحاح إلى إرسال الشباب إلى المناطق النائية لإقامة خطوط دفاعية، ومن ثم يحَدِّوا من استهدافهم للمدنيين. كما ألقى الزعماء محاضرات على المقاتلين في المدن حول انتهاج السلوك الصحيح تجاه المدنيين. وقال بعض الزعماء للمقاتلين بأنهم إذا أقدموا على

اغتصاب النساء، فستصيبهم اللعنة أو يموتون في المعركة. ورغم الجهود التي بذلها الزعماء، اعترف المقاتلون الذين أجرى معهم كاتب هذه الورقة مقابلات - ضمنيًّا- بارتكابهم جرائم اغتصاب. وقد عوقب مرتكبو الجرائم بحق النساء بالموت في المعركة نفسها. ونفى كل مَن أُجرِيت معهم مقابلات مقتل أي طفل. وذكر مقاتلو جيكاني الشرقية أنه تم تحذيرهم من خطورة النوم على فراش يحصلون عليه من خلال النهب والسلب، وأن عليهم تسليم مثل هذه الغنائم والتخلّي عنها[٢٨]. ورغم صعوبة تفسير هذا الأمر، فإن من الرؤى المُكتسَبة من هذه التوجيهات أن نهب ممتلكات العدو مقبول من حيث المبدأ، ولكن من الواجب الالتزام ببعض القواعد. وقد أقرَّ كل مَن أُجرِيت معهم مقابلات بأنه لم تتم معاقَبة أيٍّ عنصر من مقاتلي الجيش الأبيض في أي وقت مضى نتيجة سوء تعامله مع المدنيين. كما أفاد أحد القادة بأنه - هو و زعماء آخرون غيره - عاتبوا الشباب المُذنِبين علنًا، مما أدى الى تشويه سمعة هؤلاء الشباب وتشويه سمعة عائلاتهم.[٢٩] وخلال ذلك عبّر زعماء النوير علنًا عن حزنهم الشديد من انهيار القواعد التقليدية للحرب، والتي كانت - حسب قناعاتهم- قد تشدّد في أوقات سابقة على حماية المدنيين والنساء والأطفال.

وينطبق انهيار القواعد التقليدية للحرب أيضًا على غيرهم من الجماعات المسلحة في جنوب السودان، التي يُعَدُّ الجيش الشعبي لتحرير السودان الأهمَّ من بينها، والذي يشهد سجله بتاريخ طويل من القسوة. وكما عَمَد الجيش الأبيض إلى معاقبة كل الدينكا على أفعال حفنة صغيرة في جوبا، مارس الجيش الشعبي لتحرير السودان على نحو روتيني العقاب الجماعي، مثل إرسال المخالفين إلى الميدان دون طعام، مما ينتج عنه سلب المخزون الغذائي للمجتمعات المحلية، وترك افرادها في بعض الأحيان يموتون جوعًا. وبالمثل، يُحتمَل أن تشن غارات عشوائية بالمدفعية على قرى يُعتقد أنها داعمة للمتمردين، وهو الأمر الذي يجعل زراعة الأراضي أمرًا صعبًا أو مُستحيلاً. وبالإضافة إلى ذلك، كان من ممارسات الجيش الشعبي لتحرير السودان حرق القرى، والاغتصاب المُنظَّم للنساء، وسياسة عدم أخذ أي أسرى.

سابعًا: الجيش الأبيض في ساحة المعركة

ما كانت لتتحقق انتصارات عسكرية كبيرة للحركة الشعبية لتحرير السودان - جناح المعارضة لولا الجيش الأبيض، ولكن التكيف المحدود للجيوش البيضاء مع أساليب الحروب الحديثة، وكذلك افتقارها لأهداف طويلة المدى يقودنا لشرح الإنجازات العسكرية القليلة التي تحققت للمعارضة المسلحة بنهاية الحرب (ونقصد هنا النهاية المفترضة للحرب مع توقيع سيلفا كير على اتفاقية حَلّ النزاع في جمهورية جنوب السودان). ورغم ازدراء مقاتلي الجيش الأبيض عادةً للجيش النظامي، فقد صارت قوات الحركة الشعبية لتحرير السودان - جناح المعارضة في منطقة أعالي النيل، على نحو كبير، تحت قيادة الجنرال جاروث جاتكوث عند بداية الحرب. ولكن لأنه لم يتمكَّن من بسط سيطرته الكاملة على القوات وغير قادر على إطعامهم، عاد معظم أفراد القوات إلى مجتمعاتهم، ثم انضموا بعد ذلك بتشجيع من جاروث إلى الجيش الأبيض. ومع أن خبرتهم العسكرية نالت الاعتراف فإنهم أُجبروا على قبول ثقافة الجيش الأبيض، بما فيه من هيكل قيادته الأفقي إلى حَدٍّ كبير.

وفي شمال منطقة أعالي النيل، عمل الجيش الأبيض بشكل وثيق مع القوات النظامية التابعة للحركة الشعبية لتحرير السودان - جناح المعارضة. وأحكم الجيش الأبيض الجيكاني الشرقي وحده قبضته على مانثيانج، وجمام، وتانجريل، ومابان وهو في طريقه إلى الشمال لتلقِّي الأسلحة والإمدادات من الجيش الأسود، الموجود على الشريط الحدودي لولاية النيل الأبيض في السودان. وتعاون الجيش الأبيض بعد ذلك مع القوات النظامية في السيطرة على ملوط، وهي نقطة دخول حاسمة إلى حقول بوليتش النفطية، وبعد ذلك توقَّف تقدم القوات لأسباب غير واضحة. وفي الوقت نفسه، اندمجت فرقة لواء خاصة بالجيش الأبيض -مُكوَّنة من ١٥٠٠ مقاتل، واتخذت اسم سلكي (وهو اسم عربي لشبكة متشابكة بدِقَّة بحيث يمكنها إلتقاط كمية هائلة من الأسماك) - في قوات جونسون اولونج النظامية، وهي فصيل خاص مُكوَّن من الشلك والنوير على حَدٍّ سواء.

وفي ولاية جونقلي، عملت قوات الجيش الأبيض أيضًا بشكل وثيق مع الجيش النظامي التابع للحركة الشعبية لتحرير السودان - جناح المعارضة أكثر مما كان عليه الحال في المنطقة التي تضم الناصر - ملكال. فهناك، تمرد اللواء بيتر قديت على الجيش الشعبي لتحرير السودان، وتحالف مع الجيش الأبيض، مع الحفاظ على انفصال الهيكل النظامي لكل منهما، وسيطر على مدينة بور يوم ١٨ ديسمبر

٢٠١٣، ثم شرعا معاً في المسيرة تجاه جوبا. وقد فشل هذا الهجوم بعد أن وجَّه ريك أمرًا إلى قديت بوقف تقدمه، وهو أمر عَدَّه المقاتلون في الجيش الأبيض - الذين أُجرِيت معهم مقابلات في سياق هذه الدراسة- خطأً كبيرًا. ولكنهم عندما تلقَّوْا أوامر بالهجوم على جوبا وحدها مع تزايد دفاعاتها، التي توفرت بعد انضمام المزيد من وحدات الدفاع الوافدة مؤخرًا من قوات الجيش الأوغندي، أوقف الجيش الأبيض أيضًا تقدمه، وعاد إلى مدينة بور؛ وفي الوقت نفسه، عُيِّن قديت مرة أخرى في مسقط رأسه، ولاية الوحدة، وحِلَّ محَلَّه اللواء سايمون جاتويك، أحد أبناء المنطقة. وعُيِّن جاتويك في وقت لاحق رئيساً لأركان قوات الحركة الشعبية لتحرير السودان - جناح المعارضة.

يبدأ التخطيط لشن غارات الجيش الأبيض على مستوى العشائر، وربما يشتمل على اجتماعات بين قادة العشائر وكبار قادة الجيش الأسود، التابعين للحركة الشعبية لتحرير السودان - جناح المعارضة، مرورًا بالعديد من وحدات العشائر الفرعية. ولأن اتِّخاذ القرار يُبنَى على الإجماع، فقد يؤدي اعتراض عشيرة فرعية واحدة إلى إجهاض العمل العسكري المقترح. ولا يشارك الزعماء في التخطيط للمعارك الفعلية، بل يدعمون الحملة ويُنبِّهون المقاتلين إلى إلتزام حُسْن التصرف، وعدم الاعتداء على النساء والأطفال، أو حرق المباني، أو إلحاق العار بمجتمعاتهم. ويشارك القادة الروحيون (الأنبياء) لقبائل النوير أحيانًا في هذه المرحلة -خصوصاً داك كويث- الذي حذَّر المقاتلين من المَسَاس بعدة قضايا أخلاقية، وأعطى تعليمات محددة لا علاقة لها في ظاهر الأمر بالهجوم الفعلي، ويبدو أنها متعلقة، نوعاً ما، بتنظيم الهجوم.

وتتعرض وحدات العشائر التي يكون أداؤها ضعيفًا، أو أظهرت جُبْناً في المعركة إلى الإذلال بتكليفها بالمهام المُخصَّصة لمُؤَخِّرة الجيش في المعركة المقبلة. ويُعَدُّ الخوف من العار عاملاً مساهما في تشجيع الشباب على الانضمام إلى الجيش الأبيض، وخوض الحرب. وتستهزأ الأسرة والأقران والفتيات في معظم الأحيان، بل يُهِينون، أيَّ شابٍّ يرفض الانضمام إلى الجيش الأبيض.

ومن الأمور الحاسمة في تنظيم الجيش الأبيض اتِّخاذ الترتيبات المتعلقة بالغذاء والإمدادات الأخرى، اللازمة لتسيير شؤون الحملة. كما يبذل التجار الصغار جهدهم من أجل المساعدة في جمع الطعام، وكذلك من أجل المساهمة بشكل شخصيّ في هذه الإمدادات. وفي المناطق القريبة من إثيوبيا، يُجمَع المال في بعض الأحيان من أفراد المجتمع المحلي، أو في السوق، ويُنقَل عبر الحدود لشراء السلع المطلوبة. وغالبًا ما يكون الهدف المستهدف بالهجوم على مسافةً بعيدة، كما كان الحال لمقاتلي الجيش الأبيض في الناصر عندما ساروا على مدى أربعة أيام لمهاجمة ملكال. وفي مثل هذه الحالات، يُفضِّل المقاتلون إتِّباع نظام

غذائي من الذُّرة الرفيعة والذُّرة العادية، وليس اللحوم؛ إذ يدَّعون أنها تبطئ سيرهم. ولا يرافق المقاتلين في الجيش الأبيض أيُّ نساء أو فريق دعم في هذه المسيرات، وإنما يتقدم المقاتلون فيتبعهم الآخرون.

بينما يشتهر بيتر قديت بقدرته على تعبئة وإذكاء روح جنوده النظاميين قبل خوض المعركة بحثِّهم على عدم الخوف من الموت، فإن مقاتلي الجيش الأبيض يصرون بأنه لا تنتابهم أيُّ مخاوف قبل الذهاب الى المعركة، وليسوا في حاجة إلى رفع رُوحهم المعنوية. ويؤكد ما سبق قولُ أحد المقاتلين: "تحتاج عناصر الجيش الأسود إلى مثل هذه المحاضرات ، لأنهم ليسوا شُجعانًا، ولكننا [في الجيش الأبيض] لا نخشى الموت، ولسنا بحاجة إلى [محاضرات كهذه]"[٢٠]. كما أكد المقاتلون أنه إذا قُتلوا في المعركة لن تشعر أُسَرهم أو أصدقاؤهم بالحزن عليهم. وبينما قد يبدو الادِّعاء الأخير كاذبًا، فإن الادِّعاء الذي سبقه يُعبِّر عن أيديولوجيا الثقافة الذكورية والقَدَرِيَّة للشباب المقاتلين في الجيش الأبيض؛ فضلاً عن ازدرائهم للجيش الأسود. وقد عزَّز هذا زعم مراقبٌ خارجيٌّ ادَّعى أنه قد بدا بالفعل على وجوه المقاتلين في الجيش الأبيض عدم الخوف في ساحة المعركة، بل لم تَبْدُ على وجوههم أي مشاعر عند موت رفاقهم، وكانت أُسَر المقاتلين تعلم ببساطة بموت ذويها من خلال صوت أعيرة نارية تُطلق خارج ديارهم[٢١].

ربما يُعزى ذلك إلى التركيز على مفهوم الشجاعة، أو إلى أن الكحول والمخدرات لم تحطم شباب النوير؛ على عكس ما تفعل مع غيرهم من الشباب في أجزاء أخرى من أفريقيا، أو إلى التأثير الكبير الذي ما يزال يحظى به الزعماء الكبار لدي المقاتلين من الشباب. وأيًّا كان السبب، فلم تتوفر أدلة كافية عن تناول المقاتلين للمشروبات الكحولية قبل النزول إلى ساحة القتال. ومع ذلك، فبمجرد استيلاء المقاتلين على مدينة من المدن، تشيع معاقرة المشروبات الكحولية؛ ظنًّا منهم أنها وسيلة فعالة لمعالجة الضغط النفسي الذي يقع المقاتلون تحت وطأته.

ولا تقع غارات الجيش الأبيض إلا في وضح النهار؛ لأن المقاتلين يَنظُرون إلى الهجوم في جُنْح الظلام على أنه خدعة مُشِينة. كما أنهم لا ينصبون كمائن، أو يُنفِّذون عمليات حرب العصابات. ويرجع السبب في ظاهر الأمر إلى عدم تلقِّيهم تدريبات على القيام بذلك، رغم أن أحد الضباط قال إن عدم قدرة المقاتلين على تنفيذ هذه العمليات يُعَدُّ أحد أكبر أوجه القصور لدى مقاتلي الجيش الأبيض. وعند نزول المقاتلين إلى ساحة المعركة، يرتدون السراويل القصيرة، ولا يرتدون القُمْصان، ويربطون حول جِباههم عُصابة من القماش، مُلوَّنةً بلون واحد؛ لأغراض تمييزهم عن سواهم.

ومن المشكلات الكبيرة التي يعاني منها الجيش الأبيض الافتقار إلى العدد الكافي من الأسلحة الصغيرة والخفيفة، ففي المعارك المبكرة قد تمتلك قوة مهاجمة يصل عدد أفرادها مائة فَرْدٍ من المقاتلين نصف

دستة (٦ قطع) من الأسلحة الحديثة، وتكون خزانات الرصاص في كل قطعة سلاح من هذه الأسلحة غير ممتلئة بالكامل، بينما لا يمتلك أغلبية المقاتلين سوى الرماح والسكاكين. ولم يتوفر الدعم الكافي من مدفعية الجيش الأسود طوال فترة الحرب، كما لم يمتلك المقاتلون في الجيش الأبيض أي أسلحة أخرى غير الأسلحة الصغيرة مثل البنادق من نوع إيه كي AK- pattern rifles ، وقاذفات القنابل الصاروخية إلا نادراً. وبالطبع فإن الدافع الكامن وراء غاراتهم هو الحصول على الأسلحة الحديثة. وعلى عكس ما يحدث في أي قوة نظامية، فإن الأفراد المقاتلين في الجيش الأبيض لهم الحق في الاحتفاظ بأي سلاح قد يحصلون عليه. وحصولهم على هذه الأسلحة يُمِدُّهم بالشعور بالأمان، وتأمين ضروريات الحياة؛ فهذا هو الدافع وراء الانضمام إلى الجيش الأبيض. وفي ظل هذه الظروف، تُعَدُّ الغارات الأولية ضد القوات التقليدية المسلحة تسليحًا جيدًا انتحاريةً تقريبًا، باعتراف المقاتلين. حتى بعد تجهيز الجيش الأبيض لمقاتليه بصورة أفضل، لم تُضاهِ إمكانيات قواته من العتاد العسكري إمكانيات جيش الحكومة، الذي كانت تدعمه القوات الأوغندية دعمًا جويًّا.

يبدأ الهجوم بمحاولة الجيش الأبيض الاقتراب من هدفه اقتراباً شديداً بقدر الامكان دون أن يثير الانتباه؛ حتى لا يتعرَّض لقصف مدفعي، ثم يشَنّ غارات مكثفة وسريعة. وبناءً عليه، فإن أعظم مصادر القوة لدى الجيش الأبيض تتمثل في عنصرَي المفاجأة وإلقاء الرعب في قلوب العدو، من خلال الأعداد المهولة للمقاتلين ، وروح الالتزام لدى القوة المُهاجِمة. ونظرًا لعدم كفاية الأسلحة والذخيرة الحديثة، لا يَشْرَع المقاتلون في إطلاق النار حتى يكونوا على بُعْد ثلاثين مترًا، وإلى أن يُطلِق قائد الفصيل النار أولاً. وإذا تم اجتياح جنود العدو في خنادقهم – اعترف مقاتلو الجيش الأبيض بمحض إرادتهم بأنهم لا يأخذون جنود العدو أَسْرى– فسَرْعَان ما تسقط الحامية بين أيديهم. وعلى صعيد الواقع، عادةً ما ينتهي القتال في أقل من ساعة. وقد يَضعُف أمل مقاتلي الجيش الأبيض عندما يُوجِّهون أسلحتهم الصغيرة لضرب الدبابات، ولكنهم يحاولون بدلاً من ذلك القضاء ببساطة على حاملي الأسلحة الآلية في أبراج الدبابات؛ أو تجنُّبها.

مثلما تبدأ المعركة بسرعة، فإنها يمكن أن تنتهي بسرعة بالنصر، حيث لا تكون القوات المدافعة قادرة على الصمود إذا كان الجيش الأبيض قادر على شَنّ هجومه من مواقع قريبة من مواقع قوات الحكومة. وإذا كانت القوات الحكومية قادرة على الصمود أمام هذا الهجوم، فإن مقاتلي الجيش الأبيض سرعان ما يتراجعون بقدر سرعة تقدُّمهم، وبالتالي يبتعدون في أسرع وقت ممكن عن نيران الأسلحة الصغيرة. ووفقًا لما قاله الجنرال جاروث جاتكوث، الذي كانت له تجربة طويلة في شؤون الجيش الأبيض: "إن عمليات تراجع قوات الجيش الأبيض يمكن أن تكون أسرع من عمليات تقدمها، وقد تكون

غير منضبطة[٣٢]!" ومع ذلك، فإن الحديث عن عمليات الانسحاب والتقهقر يُعتبر موضوعاً حَسَّاساً بين المقاتلين في الجيش الأبيض، طالما أن أثرها ينعكس سلبًا عليهم وعلى أُسَرهم وعشائرهم وقبائلهم. وقد أنكر البعض وجود أي حالة فِرار للجيش الأبيض من المعركة. وفي حين تغلَّب الجيش الأبيض مرارًا على مقاومة القوات الحكومية في بور وملكال، فإن جنوده لم يتمكنوا من إحكام قبضتهم على الناصر وليود رغم محاولاتهم الدؤوبة. وقد يرجع سبب ذلك في ظاهر الأمر إلى إستراتيجيات الدفاع المتفوقة، التي تضمَّنت الخنادق العميقة والأسلاك الشائكة.

وإذا سيطر الجيش الأبيض على مدينة من المدن، فسَرْعَان ما تتّجه قواته إلى السلب والنهب. وفي تلك الظروف، قد تنهار بشكل كامل مبادئ النظام والانضباط عند المقاتلين، ولا يقدر أحد أبدًا على إحكام السيطرة عليهم. وقد شكا جَمْعٌ من المقاتلين -مازحين- من تمتُّع المقاتلين المتمركزين في مُؤخِّرة الجيش بالموقع الأفضل للسلب والنهب. وهناك تقييم غير رسمي في حالة النصر أو الهزيمة لأداء المُكوِّنات المختلفة للهجوم وسينعكس ضعف الأداء، سلبًا على الأفراد المقاتلين ومجتمعاتهم المحلية. وبناءً عليه، يؤخذ هذا المُكوِّن بعين الاعتبار في أي معركة مستقبلية. ولا يبشر انتصار الجيش الأبيض حتمًا بالخير للسكان المحليّين من غير النوير، الذين سيُعَدُّون مؤيدين للحكومة. أما النوير النازحين في مواقع مخيمات حماية المدنيين، التابعة لبعثة الأمم المتحدة في جنوب السودان بمنطقة أعالي النيل، فقد يخرجون من تلك المخيمات للمشاركة في عمليات السلب والنهب، أو في عمليات إيذاء للمدنيين المقيمين، الذين من المحتمل أن يكونوا قد أساءوا معاملتهم سابقًا، واضطرُّوهم إلى اللجوء إلى مواقع مخيمات المدنيين.

إن الاستيلاء على مدينة قد يعني الاستيلاء على الدبابات، ولكن المقاتلين في الجيش الأبيض لا يعرفون كيفية تشغيلها، وحتى إن شاركتهم قوات الجيش الأسود التابعة للحركة الشعبية لتحرير السودان - جناح المعارضة في شَنِّ الهجوم، فقد يفتقرون أيضًا إلى المهارات الفنية اللازمة لذلك؛ لأن النوير المقاتلين في الجيش الشعبي لتحرير السودان لم يكونوا عادةً يُدربون ليبلغوا هذا الحَدِّ. ويسهل تفنيد مزاعم وفود دعم خارجي واسع النطاق إلى الحملة العسكرية الخاصة بالحركة الشعبية لتحرير السودان - جناح المعارضة من خلال الحقيقة التي تفيد أنه، على صعيد الممارسة العملية، تتكوَّن قواتها إلى حَدٍّ كبير من الجيش الأبيض، الذي يعاني مقاتلوه من إعداد بالغ السوء. وكان الجيش الشعبي لتحرير السودان هو مُورِّد الأسلحة الرئيسي، دون قصد منه، للجيش الأبيض. ورغم حالة عدم انضباط مقاتلي الجيش الأبيض فإنهم يعمدون بعد الاستيلاء على مدينة من المدن إلى نشر نقاط الحراسة اللازمة، وتسيير دوريات على حدودها الخارجية؛ خوفًا من أن تشَنَّ الحكومة غارات مضادة.

بعد مرور فترة وجيزة (تتراوح عادة بين ٢- ٤ أيام)، يرغب مقاتلو الجيش الأبيض عادةً في العودة إلى ديارهم وإلى قُطْعَان ماشيتهم؛ مُحمَّلين بالغنائم، وتاركين المدينة تحت سيطرة مجموعة ثابتة صغيرة العدد من قوات الجيش الأسود، التابع للحركة الشعبية لتحرير السودان - جناح المعارضة. وعندما يدرك بعض أفراد الجيش الأسود أن القوات الحكومية التي تصل إليها الإمدادات كل حين من المحتمل أن تعود، يَعقِدون النِّية على سلب ونهب المدينة، والانضمام إلى الجيش الأبيض المُغادِر، وبذلك يتركون قوات الجيش الأسود المتبقية أكثر عُرضة للهجوم. وبالطبع فإن هذه التجربة الواقعية أوضحت مرارًا وتكرارًا، أن الجيش الشعبي لتحرير السودان، في كثير من الأحيان، سَرْعَان ما يَشُنُّ هجومًا مضادًّا، بدعم من الجيش الأوغندي، لا تستطيع القوات المدافعة صَدَّه، ولذلك قد تَعمِد القوات المدافعة إلى الالتحاق بالجيش الأبيض؛ لتأمين المواقع المختلفة في الريف. وبهذا، يتهيأ المسرح في وقت لاحق لغارات أخرى يَشُنُّها الجيش الأبيض. وتجتمع عوامل - مثل الحالة النفسية للمقاتلين بالجيش الأبيض، وافتقارهم إلى الانضباط، والالتزام المحدود بأهداف سياسية طويلة المدى، والتركيز على الأوضاع الحالية الذي يبلغ مدى تمكُّنها من التغلب مرارًا على قوات مُتفوِّقة عليها تقنيًّا في ظروف عصيبة، ولكن بعد ذلك لا تكون هذه القوات قادرة على تعزيز انتصارها؛ ناهيك عن إدارة تلك البَلْدَات التي احتلتها، أو ضمان أمن السكان، أو إعادة الخدمات العامة إلى سابق عهدها. وقد شجعت الدورة المتكررة للانتصارات العسكرية التي تعقبها الكوارث، القيادة العسكرية للحركة الشعبية لتحرير السودان - جناح المعارضة، على تدريب المقاتلين في الجيش الأبيض ودمجهم في الجيش الأسود. وقد حدث بعض التقدم في هذا الصدد، ولكن حينما انتهَت الحرب رسميًّا في أغسطس ٢٠١٥، صارت التدريبات محدودة للغاية.

ثامنًا: المُستقبَل

في العام الأول من الحرب الأهلية، كانت الإجابة على سؤال ماذا يريد مُقاتلو الجيش الأبيض من الحرب؟ هي دائمًا "قتل الدينكا". وبعد أكثر من عامين من بدء الحرب، وجد هذا السؤال إجابةً أكثر عقلانية، رغم أنها لم تكن دائماً إجابة واضحة. ولم يستفِدْ مُقاتلو الجيش الأبيض كثيرًا من قتل أفراد قبيلة الدينكا، وباتوا في وضع شديد الحرج تحيط بهم مخاطر الحرب؛ ولا سيما عملية السلام واتفاق السلام. وذكر أغلبهم أن رغبتهم في الانتقام لم تُشبَع، ولم تَكُنْ لتُشبَع حتى يكابَد أفراد قبيلة الدينكا في بحر الغزال وجوبا الآلامَ، ويتنحَّى سيلفا كير من منصبه. وعليه، فإن كراهية قبيلة الدينكا تضرب بجذورها عميقًا وتنعكِس في طلب الجيش الأبيض أن يُغادر "الجيش الشعبي لتحرير السودان- الدينكا" (بعبارة أخرى، الدينكا والجيش الشعبي لتحرير السودان مُندمجَيْن) إقليم النوير، وأنه ينبغي ألا يعمل أيُّ فرد من أفراد قبيلة الدينكا في الحكومات المحلِّية. ودون أن يعرف المُقاتلون فكرة الفيدرالية العِرْقِيَّة، التي باتت موضوعية جدًّا في أعقاب الحرب بدأوا ينادون بها. ولكن يجب التأكيد على أن كراهية قبيلة النوير لقبيلة الدينكا مُتجذِّرة في: أولاً، المنافسة التاريخية على الموارد في سياق من النُّدرة؛ وثانيًا، التنافس داخل حركة أنيانيا – ٢ (انيانيا – تو) وبينها وبين الحركة الشعبية لتحرير السودان والجيش الشعبي لتحرير السودان؛ للسيطرة على الجماعات المُسلَّحة، وبالتالي على السُّلطة في الدولة. والتعبيرات الرئيسية عن هذا العَدَاء هي الانقسام الذي قادته قبيلة النوير داخل الجيش الشعبي لتحرير السودان في عام ١٩٩١، وهجوم أفراد قبيلة النوير على بور في عام ١٩٩١، ومُؤخَّراً عمليات قتل أفراد قبيلة النوير في جوبا في منتصف ديسمبر ٢٠١٣. إن الكراهية ليس لها مُحرِّك بيولوجي؛ لأن هناك عددًا من حالات التزاوج غير القليلة بين القبائل، وهناك درجة عالية من المرونة لقبول الاندماج في قبيلة النوير. والكراهية ليست فِطْرِيَّة أيضًا، ولكنها نتاج لظروف مُعيِّنة؛ لكن تحليل تلك الظروف يقع خارج مجال هذه الأُطروحة.

هناك بعض الوعي بين مقاتلي الجيش الأبيض الأكثر قدرةً على التعبير أو الأكثر ثقافةً بأنه رغم أنهم هم الذين أشعلوا الحرب على نطاق واسع، وليس الجيش الأسود، ودفعوا ثمنًا باهظًا؛ فإنهم لم يكسبوا شيئًا من السلام! وقال أحد المقاتلين من المتعلمين إنه شعر بـ "الخيانة"، في حين قال آخر: "سنمنَح رياك شهرين أو ثلاثة أشهر. فإذا لم تُنفَّذ مطالبنا، وهي عزل سيلفا كير ومغادرة الجيش الشعبي لتحرير السودان إقليمنا، فسنعود إلى الحرب"[٣٣]. وهذه الآراء تعتنقها الأقلية حاليًّا، ولكنَّ مُعتنِقي هذه الآراء هم قادة الجيش الأبيض وقادة الرأي فيه. والأكثر شيوعاً هو وجود مشاعر غضَب بأن الأمور لم تَجْرِ كما

هو مُتوقَّع لها، بدلاً من وجود رأي واضح بأن قيادة الحركة الشعبية لتحرير السودان – جناح المعارضة قد استغلَّتهم للوصول إلى اتفاق سلام، والآن تتجاهلهم. صارت المُشكلة متفاقمة؛ لأن المقاتلين عادةً ما يزعمون أن لا أحد من قيادات الحركة الشعبية لتحرير السودان – جناح المعارضةقد تحدَّث إليهم في أي وقت مضى حول عملية السلام أو عن اتفاق السلام؛ وهذا غير صحيح تمامًا، على النحو الوارد أعلاه. وقد لاحظ عددٌ من المقاتلين أن كبار عناصر الجيش الأبيض الذين اندمجوا في الجيش الأسود سيُمثِّلون مصالحهم. وإذا لم تُحظ هذه المصالح بالاهتمام – كما حذَّر أحد المقاتلين– فإن الجيش الأبيض يحتل وضعاً جيِّداً يُمكِّنه من إضعاف مكانة الحكومة.

ويشمل الأشخاص الذين يحظون باحترام مقاتلي الجيش الأبيض مُحافظ محلية سوباط، ديور توت، ومحافظ محلية أكوبو، كونج ثور، ومحافظ محلية أدار، شايوت مانيانغ؛ الذين قَضَوْا وقتًا في الميدان يُثقِّفون شعبهم ويُطلِعونه على التطورات، وقد عملوا من أجل دمج الجيش الأبيض في أجهزة الأمن المحلية. ومن المُثير للاهتمام أن جونسون أولوني، الذي ينحدر من قبيلة الشلك، يحظى بإعجاب واسع النطاق لشجاعته وإقدامه. وواقع الأمر أنه رغم أن مقاتلي الجيش الأبيض غالبًا ما يكونون من أصحاب التفكير القَبَلِيِّ الضَّيِّق، فإن إعجابهم بأفراد معروفين بأنهم مقاتلون شُجعان غيرُ مرتبط باعتبارات قَبَلِيَّة.

أتت هوية أفراد قبيلة النوير إلى الصدارة، في سياق غضب الجيش الأبيض بسبب عمليات القتل في جوبا. ورداً على ذلك، انخرط أفراد قبيلة النوير بصورة جماعية في حرب انتقام قَبَلِيَّة ضد قبيلة الدينكا؛ ولكن هذه المشاعر قد تتغير. وهناك عدد صغير من الذين المشاركين في شملتهم هذه الدراسة – جميعهم كانوا من المتعلمين وأصحاب الخبرة– تحدَّثوا عن حرب مستقبلية تستند على أساس تعاون عابر للأعراق، وذهب أحد الأفراد بعيدًا جدًّا حين قال أنّه إذا كان من صفات الفرد أن ينتصر للحقِّ، فمن شأنه أن يساند قائداً من الدينكا للجيش الأبيض[٢٤]؛ إلا أن الأكثر شيوعًا أنه يُمكن التمييز بين الكراهية العميقة التي يُبديها أفراد الجيش الأبيض لقبيلة الدينكا وكراهيتهم للقبائل الأخرى. وعليه، فإنه رغم القتال الوحشي بين قبيلتَي النوير والمورلي، وما أُبلِغ عنه من قتل ٢٨ مدنيًّا من جيكاني الشرقية في غارة من قبيلة المورلي على قرية ماكاك في سوباط أثناء إجراء هذه الدراسة؛ فإن الكراهية لقبيلة المورلي ليست بقَدْر الكراهية لقبيلة الدينكا. وللأمر أصول تاريخية، وهو يعكس أيضًا الصدمة والجرح العميق الذي أصاب أفراد قبيلة النوير مُجتمعِينَ نتيجة هجوم ديسمبر ٢٠١٣ على أشقائهم في جوبا.

عندما سُئِل المشاركون الذين شملتهم الدراسة عما إذا كان المقاتلون قد تَلقَّوْا أي تعليم سياسي من الحركة الشعبية لتحرير السودان – جناح المعارضة، أو كان لهم أي أهداف سياسية تُعَدُّ جزءًا من حملة أوسع ضد حكومة سيلفا كير، كان أغلبهم غير قادرين على الرَّدِّ؛ رغم أنهم كانوا موقنين بشكل واضح من رغبتهم في الإطاحة بسيلفا كير، وكان رأيهم حول الجيش الشعبي لتحرير السودان سلبيًّا تمامًا. وفي ظلِّ

التمرُّد الذي قادته الجبهة الشعبية لتحرير التغراي في إثيوبيا، كان على جميع المقاتلين أن يخضعوا لتعليم سياسي، حتى أن الأصغرُ بينهم والأبسطُ فِكرًا كانت لديه فكرة عن برنامج الحزب (يونغ، ١٩٩٧). ولكن، في ما عدا استثناءات قليلة بارزة، فإن أعضاء قيادة الحركة الشعبية لتحرير السودان - جناح المعارضة لم يشعروا بأي رغبة ولو حتى في توضيح الأهداف السياسية لحركتهم لأولئك الذين كانوا يأملون أن يساعدوا في تحقيقها، من الذين يزعمون أنهم كانوا موالين لهم.

إن مُستقبل هؤلاء الشباب بات ضبابيًّا دون أدنى شك. وتحدَّث عدد قليل منهم عن رغبتهم في الذهاب أو العودة إلى الدراسة، في حين عبّر آخرون عن أملهم في الحصول على وظائف في الجيش النظامي. وهو هدف معقول، نظرًا لمحدودية فرص العمل المتاحة لهم في جنوب السودان، ولكنه ليس بسيناريو متفائل إذا كان على جنوب السودان، ولا سيما قبيلة النوير، التخلص من ثقافتها العسكرية. وعلاوة على ذلك، ففي ظِلِّ انخفاض أسعار النفط وكثرة النفقات، ستكون هناك حاجة لإعادة تأهيل البلد الذي دمرته الحرب، ولا يُمكن لجنوب السودان أن يتحمل اقتصاديًّا الاحتفاظ بجيش كبير، أو - على الصعيد السياسي- جيش آخر تُسيطِر عليه قبيلة النوير. وقد أُجرِيت مُقابلات مع شباب آخرين لا رغبة لهم في الانضمام إلى الجيش، غالبًا بسبب عدم رغبتهم في قبول الانضباط العسكري، ومخاطر إرسالهم إلى أجزاء من البلاد بعيدة عن ديارهم. وقال اثنان من مقاتلي الجيش الأبيض الكبار من عشيرة لو- نوير إنه طالما كان سيلفا كير رئيسًا، فستستمر الحرب، ولا تنتهي إلا برحيله -وهو الأمر الذي يعتقدون أنه سيتطلب العودة ثانية إلى الحرب- وبرحيله فقط يُمكِنهم أن يطمحوا في الانضمام إلى الجيش النظامي[٣٥]. وفي واقع الأمر، فإن جميع مقاتلي الجيش الأبيض تقريبًا، الذين أُجرِيت مقابلات معهم في سياق هذه الدراسة، أكدوا أن الحرب لن تَنْتَهِ؛ طالما إن سيلفا كير لا يزال يحكُم و لا يزال الجيش الشعبي لتحرير السودان يحتلَّ مناطق من وطنهم، ونتيجة لذلك قد يُستأنف القِتال في أي وقت.

ولم يكن هناك وضوح رؤية لدى المقاتلين بشأن حرب أخرى ، رغم أنهم أوضحوا أنهم وحدهم سيُقرِّرون ما إذا كانوا سيقاتلون، ومتى يُقاتلون، وسيحددون أهدافهم؛ رغم أن أولئك الذين فكَّروا أكثر بشأن القضية كانوا يقولون عادة بأنهم إذا شاركوا في حرب أخرى فإنهم سيحتلون المُدن ويسيطرون عليها، ومن بينها مدينة جوبا. لكن شخصًا واحدًا فقط، وهو قائد وزعيم، تحدَّث عن حكومة للجيش الأبيض. وحين أعرَب كاتب هذه الورقة عن شَكِّه في احتمال تحقق هذا الزعم، هتف قائلاً: "إذا كان بإمكاننا التحكم في ٤٠،٠٠٠ شابٍّ مجنون، فإننا نستطيع تسيير حكومة[٣٦]"

تاسعًا: الخاتمة

رغم أن الهيئة الحكومية الدولية المعنية بالتنمية (إيقاد) وافقت على تأكيدات أن الجيش الأبيض في شرق أعالي النيل كان تحت سيطرة الحركة الشعبية لتحرير السودان - جناح المعارضة، ويُمكِن أن يُمثِّله رياك مشار في مفاوضات السلام، فإن هذه الدراسة أكَّدت على أن للجيش الأبيض درجة عالية من الاستقلالية والتعبئة الذاتية، وعلى عدم قدرة أي قوات خارجية على فرض سيطرة فعالة عليه؛ فالجيش الأبيض هو نتاج لمجتمعه المحلِّي، وأعماله في الدفاع عن المجتمع ومهاجمته المنشآت الحكومية والمُدُن تُمثِّل على نحو واسع مصالح مجتمعه، لا المصالح السياسية للحركة الشعبية لتحرير السودان - جناح المعارضة. وحتى سوء معاملة مقاتلي الجيش الأبيض للمدنيين في الحرب - سواء كانوا من الدينكا أو من أولئك الذين يُوصَفون بأنهم من الدينكا بسبب دعمهم للحكومة- لا يُشكِّل تحديًا بشكل أساسي لأعراف مجتمع كان وجوده يُعتبر مُهدَّد من حكومة من الدينكا. ولذلك، فإنه مع ان أهداف قوات الجيش الأبيض – عدا الانتقام لزملائهم من قبيلة النوير في جوبا في منتصف سبتمبر ٢٠١٣- لم تكن دائمًا جلية؛ فإن من الواضح أن لتمرُّد الجيش الأبيض جذوراً تضرب عميقًا في المجتمع، وأن حربه حرباً شعبيةً أديرت على نحو واسع بصورة مُستقلَّة عن أي قوات خارجية.

وفي أعقاب المجازر التي وقعت في ديسمبر ٢٠١٣، انضمَّ ذكور قبيلة النوير من أجزاء كبيرة من جنوب السودان إلى القوات المُقاتِلة تحت راية الجيش الأبيض للانتقام مما كان يُنظَر إليه على أنه هجوم من الجيش الشعبي لتحرير السودان، بقيادة الدينكا، على كافة الأشخاص من إثنية النوير. ورغم عدم وجود هيكل أو نظام عسكري تقليدي، برز الجيش الأبيض بوصفه المعارض الرئيسي للجيش الشعبي لتحرير السودان. ولكن الأسباب التي دفعت مقاتلي الجيش الأبيض لخوض هذا الصراع لم تَحْظَ بالتقدير الكافي، ولا بالقبول في عملية السلام التي تُشرِف عليها الهيئة الحكومية الدولية المعنية بالتنمية (إيقاد)، والتي ظلت مهتمة فقط بتحقيق مصالح نُخَب ثلاث فصائل في الحركة الشعبية لتحرير السودان. ورغم أن للحركة الشعبية لتحرير السودان - جناح المعارضة صِلات عِدَّة بالجيش الأبيض، فإنها لا تُسيطِر أو تمارس تأثيرًا كبيرًا في قراراته بمحاربة الحكومة، وفي التعبئة وخوض معارك معينة، أو اتخاذ قرار بمَحْض إرادتها بأن الحرب قد انتهَت بتوقيع اتفاق سلام. لقد استحوذت الحركة الشعبية لتحرير السودان - جناح المعارضة على نِضال الجيش الأبيض ليُلبِّي احتياجاتها وأجندتها الخاصَّة، ودعمتها الهيئة الحكومية الدولية المعنية بالتنمية(إيقاد)، والجهات الدولية المُساندِة لعملية السلام؛ لأنها تتَّفِق

أيضًا مع مصالحها الخاصَّة. وفي حين أن قيادة الحركة الشعبية لتحرير السودان - جناح المعارضة ادَّعَتْ من ناحية، لأغراض التفاوض، أنها تُسيطِر على الجيش الأبيض في شرق أعالي النيل، فإنها حاولت من الناحية الأخرى أن تنأى عن الانتهاكات التي ارتكبها المقاتلون عندما استولَوْا على مُدُن الحكومة. وكانت نتيجة ذلك اتفاق سلام لم يأخذ بعين الاعتبار آراء القوة المُقاتِلة المُعارِضة الرئيسية في الحرب، وسيكون لهذا الأمر تبعات خطيرة على مُستقبَل الأمن في جنوب السودان.

إحدى النتائج الأكثر إثارة للدهشة في هذه الدراسة هي التناقض بين السلوك الوحشي والإجرامي في بعض الأحيان من مقاتلي الجيش الأبيض تجاه المدنيين خلال غاراتهم على المدن التي تسيطر عليها الحكومة، وسلوكهم الحسن عمومًا في مجتمعاتهم المحلية، إلى الحَدِّ الذي طلبت فيه السلطات المحلية مساعدتَهم في إستئصال الجرائم منها. وهذا يبدو أنه يُعزى إلى وحدة مجتمع النوير في التمرد ضد الحكومة، ولذلك يتمتع الزعماء والقادة المحليون للحركة الشعبية لتحرير السودان - جناح المعارضة بقدرتهم على التأثير إيجابًا في سلوك مقاتلي الجيش الأبيض في مجتمعاتهم؛ ولكن الأمر ليس كذلك دائمًا في القتال. وقد أورد هذه النقطةَ أيضًا إيفانز بريتشارد (١٩٤٠) عندما وصَف التنظيم الاجتماعي والسياسي للمجموعات العِرْقِيَّة لقبائل النوير والدينكا كدولة بلا زعيم، تفتقر إلى الأجهزة التشريعية والقضائية والتنفيذية؛ ولكن ثباتها وشكلها المتماسك يُوحِي بأن منظومتهم لم تكن منظومة فوضوية، وإنما يمكن وصفها بأنها "فوضى مُنظَّمة"!

وهذا يشير بالمقابل إلى أن شباب النوير يعملون في إطار نظام تحكمه القيود، وأن من الممكن أيضًا تزويدهم بتعليم سياسي. ومن بين مئات الشباب الملتحقين بجبهة تحرير تيغري الشعبية الذين أجرى كاتب الورقة مقابلات معهم أثناء الثورة الإثيوبية، لم يَقُلْ أيّ منهم إن هدفه قتل افراد اثنيّة الأمهرا، بل أن كل واحد منهم كان يعبّر عن البرنامج الأساسي للحزب الذي ينتمي إليه، مما يظهر تناقضًا صارخًا مع أيديولوجيات المقاتلين في الجيش الأبيض. ورغم وجود اختلافات واضحة بين الأنماط الثقافية للنوير والتيغراي، فليس هناك سبب يجعلنا نظنُّ أن شباب النوير أقلُّ ذكاءً أو قدرةً على استيعاب التثقيف السياسي، والعمل على تحقيق أهداف سياسية.

ولم تحاول قيادة الحركة الشعبية لتحرير السودان - جناح المعارضة – متتبعة النمط الأيديولوجي للحركة الشعبية لتحرير السودان- تزويد المقاتلين في الجيش الأبيض بالتعليم السياسي على وجه الخصوص (والموالين لها على وجه العموم)؛ مما يشير إلى انعدام الكفاءة السياسية والنُّخْبَوِيَّة والمحافَظة الاجتماعية، وربما الخوف من إيقاظ الوعي السياسي لدى الشباب، والرغبة في أن تنأى بنفسها عن مقاتلي الجيش الأبيض؛ الذين ليس لها تأثير يُذكر عليهم. وعلاوة على ذلك، إذا كانت قيادة الحركة الشعبية لتحرير السودان - جناح المعارضة غير مهتمة بإيقاظ الوعي السياسي لشباب النوير، فيجب أن

تتولَّد الشكوك حول إلتزام الحزب، المتكرر بشأن التغيير الجذري لجمهورية جنوب السودان. وبالطبع، فإنه لا توجد لدى الحزب الذي يعلن في خطاباته بانتظام عن رغبته في الإصلاح، مؤشرٌ يُذكَر عن أيِّ إصلاحات في مجتمعه، حينما كان في موضع يُمكِّنه من تحقيق هذه الإصلاحات لمدة سنتين ونصف في وقت كتابة هذه الورقة، وكان من الممكن تنفيذ هذه الإصلاحات دون الحصول على سُلطة الدولة.

وقد أثارت هذه المسألة أيضًا جدلاً على نطاق واسع لدى الحركة الشعبية لتحرير السودان - جناح المعارضة بين أولئك الذين يَرَوْنَ أن الجيش الأبيض قوة مُستهلَكة تُبدِّد طاقاتها بالسير في طريق مسدود سعياً وراء الانتقام، ومن يَرَوْنَ أن الجيش الأبيض على استعداد للذهاب للقتال؛ إذ لم تتحقق أهدافه ولا أهداف الحركة الشعبية لتحرير السودان - جناح المعارضة من خلال اتفاقية حَلِّ النزاع في جمهورية جنوب السودان. وعليه، فإن الحلقة المفقودة هي السياسة؛ فإذا كان الجيش الأبيض قد استنفد طاقته في سبيل سعيه للانتقام (رغم أن هذه الدراسة تشير إلى عدم صحة هذا الادِّعاء)، فذلك لأن قيادة الحركة الشعبية لتحرير السودان - جناح المعارضة لم تبذل جهدًا لإيقاظ الوعي لدى الشباب إلى ما يتجاوز الكراهية القَبَلِيَّة. وكانت لدى القيادة قناعة تامة - من وجهة نظرها الذاتية- بأن الشباب أُمِّيٌّ وغير قادر على الارتقاء إلى مستوى المتعلمين. وفي الواقع، يبدو بوضوح وجود سياسة مُنسَّقة بين السودان وجنوب السودان بشأن استغلال الشباب في خوض المعارك الدائرة بين النُّخَب، والمحافظة على جهل الشباب بالمغزى العميق وراء النزاعات التي زُجَّ بهم فيها.

نشأ الجيش الأبيض في ظِلِّ ظروف فشلت فيها حكومات الخرطوم وجوبا، بالاضافة الى الجيش الشعبي لتحرير السودان، في توفير الأمن، بل كثيرًا ما كانت هذه الحكومات سببًا رئيسيًّا في انعدام الأمن، كما أنها لم تُلَبِّ الاحتياجات الأساسية لشعوبها. وأدَّت التنمية غير المتوازنة في كل مرحلة دورًا هامًّا في تهيئة الظروف الموضوعية للاستجابة السياسية، التي نتجت عن هذا الوضع. واستشرى الشعور بخيبة الأمل، ووجد في ثقافة النوير ذات القيم القتالية التقليدية - التي لا يزال لها تأثير في اوساط الشباب- تعبيراً في التمرد المسلح، عندما خَلُصَ المجتمع كله إلى أن وجوده يواجه تهديد غارات تَشُنُّها الحكومة على المدنيين النوير في جوبا. وقد ظلَّ الوضع على حالته تلك بعد التوقيع على اتفاقية السلام. وتجدر الإشارة إلى أنه لم يُذكَر أي شيء عن نزع سلاح المدنيين؛ إذ إنه صار واضحاً عدم واقعية هذا الأمر في ظِلِّ الظروف الحالية.

أما عن حقيقة عدم خوض الجيش الأبيض لأي قتال في الأشهر الأخيرة، فلها شأن أقل بتوقيع اتفاقية حَلِّ النزاع في جمهورية جنوب السودان أكثر مما لها بحقيقة أن الجيش الشعبي لتحرير السودان لم يهاجم المدنيين النوير، أو يُعطِّل مسيرة حياتهم الاجتماعية، أو يسرق ماشيتهم. وثمة عامل آخر، رغم عدم ذكره في أيٍّ من المقابلات، وهو القدرة المتزايدة للجيش الشعبي لتحرير السودان على تحمُّل غارات

الجيش الأبيض من خلال تطوير أنظمته الدفاعية على نحو أفضل، مثل زيادة استخدام الأسلاك الشائكة، والخنادق، والسيارات المدرعة الصغيرة.

وأفاد مقاتل ذو خبرة قتالية أن الجيش الأبيض تنازل كي يعطي المجتمع الدولي فرصة لإحلال السلام في جنوب السودان، بل أوضح أن لصبره حدودٌ. ويوجد إجماع بين المقاتلين في الجيش الأبيض على أن الحرب لم تضع أوزارها حتى الآن، فإما الانتصار على الدينكا أو تجرع الهزيمة منهم. وبذلك، فالسلام ليس مُستتبًّا إطلاقًا بين الجيش الأبيض والجيش الشعبي لتحرير السودان، وأيُّ عمل متهور يَصدُر من الحكومة، يمكن أن يحدث رَدَّة فعل سريعة وعنيفة تجاهه. وفي أعقاب الحرب الأهلية التي دفع فيها الجيش الأبيض ثمنًا باهظًا، تَبَيَّن أنه لا يمكن تجاهل آرائه، وأنه لا يمكن لأي اتفاقية سلام أن تكون نافذة ومستدامة دون دعمه، أو على الأقل إذعانه له.

منذ أحداث القتل في جوبا، ربطت قيادة الحركة الشعبية لتحرير السودان – جناح المعارضة مصيرها بمصير الجيش الأبيض، واعتبرت أنه استناداً إلى الولاء القَبَلِيِّ وغياب أي مطالب سياسية مستقلة من الجيش الأبيض، فللقيادة الحقُّ في الحديث نيابةً عن هؤلاء المقاتلين. وفي حين حَدَّ تركيز الجيش الأبيض على السعي للانتقام من قدرة المقاتلين على تقديم مطالب سياسية تُعبِّر عن كيانهم، فإن الإصرار على إقالة سيلفا كير من منصبه، ومطالبهم المتصلة بذلك بإنهاء العلاقة بالحركة الشعبية لتحرير السودان، واستبعاد الجيش الشعبي لتحرير السودان من ديار النوير اتخذت كلها؛ طابعاً سياسيّاً، وكذلك دعماً مجتمعيّاً عريضاً. وإذا أنشأت الحكومة نظامًا فيدراليًّا مُكوَّنًا من ٢٨ ولاية، فإنه سوف يتسبَّب في معاناة كبيرة في ديار النوير؛ ويقود إلى انتقال المناطق الغنية بالنفط، التي يعتقد النوير انها تنتمي لهم – إلى إدارات ولايات تخضع للدينكا. وهذه كلها قضايا شائكة قادرة على إعادة البلد إلى مربع الحرب من جديد.

ولكن، من الجدير بالذكر أنه بقدر ما سعي الجيش الأبيض إلى تحقيق أهداف سياسية؛ فإن كل هذه الأهداف كانت ذات طبيعة سلبية. وليس ثمة ما يدل على وجود أهداف إيجابية لديه؛ فالادِّعاء المذكور أعلاه –الذي أدلى به شيخٌ ومقاتلٌ، بأن الجيش الأبيض قادر على تشكيل حكومته الخاصة في جوبا– يجب بالتالي رفضه؛ إذ لا يقتصر الأمر فقط على عدم امتلاك الجيش الأبيض المهارات والخبرة والرؤية لتشكيل حكومة قادرة على العمل، وإنما تتَّسم آراءه أيضاً بالرجعية، كما تَبيَّن ذلك من عدم قدرة معظم أعضائه على الترفُّع عن مستوى الانتقام، ورفضهم التام وصول النساء إلى الرُّتَب العُليا في الجيش. وقد شهد التاريخ انهيارًا سريعًا للتجارب القليلة التي حاولت فيها الحركات ذات القاعدة والقيادة الشعبية الاستمرار في السُّلطة، ولكن فقط حين يتولَّى أمرَ هذه الحركات مثقفون راديكاليون – مثلما حدث في إثيوبيا– يُكتَب لها القدرة على النجاح والمثابرة (يونغ، ١٩٩٧).

يجب التأكيد على أن جيش النوير الأبيض اليومَ ليس هو نفسه ذلك الجيش الذي ظهر للمرة الأولى على الساحة التاريخية عام ١٩٩١. وقد تم رصد مراحل تطور هذا الجيش والمستويات التعليمية للمقاتلين به، ولكن، إضافةً إلى ذلك، اندمج بعض المقاتلين في القوات النظامية التابعة للحركة الشعبية لتحرير السودان – جناح المعارضة، وأظهر قلة منهم قدراتهم القيادية وتَرَقِّيهِم إلى المناصب العليا. وقد ألقَت المقابلات التي أجراها كاتب هذه الورقة مع المقاتلين الضوء أيضًا على تقييمهم النقدي على نحو متزايد بشأن الحرب، والقيادة السياسية للحركة الشعبية لتحرير السودان – جناح المعارضة، ويمكن توقع أنهم في حالة اشتراكهم في حرب أخرى بالمستقبل. من المحتمل أن تتباين أفعالهم حينئذٍ؛ إذ إنه من بين الأقلية المُكوَّنة من الأعضاء الأكثر تعليماً وخبرةً ودرايةً بالأمور في الجيش الأبيض، هناك أيضًا غضبٌ متزايدٌ بشأن محاولة قيادة الحركة الشعبية لتحرير السودان – جناح المعارضة استقطاب الجيش الابيض، والتهميش من جانب المجتمع الدولي في عملية السلام. وهذا يقود إلى عملية تقييم حاسمة بشأن القيادة الخاصة بالحركة الشعبية لتحرير السودان – جناح المعارضة، وأداء الجيش الأبيض خلال الحرب، والبحث عن الوسائل التي يمكن بها استئناف القتال دون تدخُّلٍ من قيادة الحركة الشعبية لتحرير السودان – جناح المعارضة؛ فهؤلاء المقاتلون يريدون قادة يعترفون باهتماماتهم وشجاعتهم، ويُوفِّرون لهم السبل والوسائل للعودة إلى ساحة الحرب. وبالإضافة إلى ذلك، فإن القادة يحتاجون إلى رؤية سياسية أوسع يفتقر لها حالياً حتى أكثر من تتوفر لديهم الرؤية الثاقبة من مقاتلي الجيش الابيض. ومثلُ هؤلاء القادة الواعدين لا احتمال لبروزهم على المدى القريب، ولكن إذا استمرت الأزمة في جنوب السودان، وكل الدلائل تشير إلى استمرارها، فقد يأتي هؤلاء القادة من عناصر الجيش الأبيض القادمة من الشتات أو غيرهم.

وأخيرًا، فإن تهميش جيش النوير الأبيض في عملية السلام يدل على نموذج مَعيب من محاولات صُنع السلام، التي تُركِّز فقط على مصالح النُّخْبة، وتتجاهل المصالح العامَّة للشعب، وتفترض أن الصِّراع يمكن حَلُّه بالتوصل إلى اتفاق حول صيغة ما لتقاسُم السُّلطة. وفوق ذلك، فكما لم تسمح عملية السلام في نيفاشا لقوات دفاع جنوب السودان بالمشاركة في المفاوضات مما تسبَّب في خلق مشاكل كبيرة، فان ما قام به جنرالات قوات دفاع جنوب السودان من لعب دورٌ هام في الثورة ضد حكومة جوبا في ديسمبر عام ٢٠١٣. يمكن أيضًا ان يدعم التنبُّؤ بأن فشل عملية السلام بأديس أبابا – في الاعتراف بأهمية الجيش الأبيض في الحرب الأهلية، أو التحدث عن مصالحه– سيكون لها أيضًا آثارها السلبية.

المصادر

Adeba, Brian. 2015. Making Sense of the White Army's Return in South Sudan. CSG Paper No. 1. Kitchener: Centre for Security Governance. February.

AU CoISS (African Union Commission of Inquiry on South Sudan). 2014. Final Report. Addis Ababa: AU. 14 October.

Breidlid, Ingrid and Michael Arensen. 2014. 'Anyone Who Can Carry a Gun Can Go': The Role of the White Army in the Current Conflict in South Sudan. PRIO Paper. Oslo: Peace Research Institute Oslo.

Davison, William. 2014. 'South Sudan Ethnic Hatred Drives Rebel Leader's White Army.' Bloomberg. 1 April.

HRW (Human Rights Watch). 2013. 'South Sudan: Army Making Ethnic Conflict Worse.' 19 July.

Hutchinson, Sharon. 1996. Nuer Dilemmas: Coping with Money, War, and the State. Berkeley: University of California Press.

— and Jok Madut. 1999. 'Sudan's Second Prolonged War and the Militarization of Nuer and Dinka Ethnicities.' African Studies Review, Vol. 42, No. 2, September, pp. 125–45.

Pendle, Naomi. 2015. '"They Are Now Community Police": Negotiating the Boundaries and Nature of the Government in South Sudan through the Identity of Militarized Cattle-keepers.' International Journal of Minority and Group Rights, Vol. 22, pp. 410–30.

Pritchard, Evans. 1940. The Nuer: A Description of the Modes of Livelihood and Political Institutions of a Nilotic People. Oxford: Clarendon Press.

Skedsmo, Arild. 2003. 'The Changing Meaning of Small Arms in Nuer Society.' African Security Studies Review, Vol. 12, No. 4, pp. 57–68.

Small Arms Survey. 2012. My Neighbour, My Enemy: Inter-tribal Violence in Jonglei. HSBA Issue Brief No. 21. Geneva: Small Arms Survey. October.

Sudan Tribune. 2014. 'South Sudanese Rebels Deny Recruiting Child Soldiers—Spokesperson.' 15 December.

Thomas, Edward. 2015. South Sudan: A Slow Liberation. London: Zed Books.

Young, John. 1997. Peasant Revolution in Ethiopia: Tigray People's Liberation Front 1975–1991. Cambridge: Cambridge University Press.

—. 2006. The South Sudan Defence Forces in the Wake of the Juba Declaration. HSBA Working Paper No. 1. Geneva: Small Arms Survey.

—. 2007a. Sudan People's Liberation Army: Disarmament in Jonglei and Its Implications. Occasional Paper No. 137. Pretoria: Institute for Security Studies. April.

—. 2007b. The White Army: An Introduction and Overview. HSBA Working Paper No. 5. Geneva: Small Arms Survey.

—. 2012. The Fate of Sudan: Origins and Consequences of a Flawed Peace Process. London: Zed Books.

—. 2015. A Fractious Rebellion: Inside the SPLM-IO. HSBA Working Paper No. 39. Geneva: Small Arms Survey.

التعليقات الختامية

١. في هذه الورقة، المُفرَد من "الجيش الأبيض" يُشير إلى تجمُّع قوات شبه مُستقلَّة ("الجيوش البيضاء").
٢. مقابلة كاتب الورقة للواء بيتر قديت، باجاك، جنوب السودان، ٩ ديسمبر ٢٠١٤.
٣. مقابلة كاتب الورقة للفريق تيجوك هدار، الحركة الشعبية لتحرير السودان – جناح المعارضة، جامبيلا، ١ فبراير ٢٠١٦.
٤. مقابلة كاتب الورقة لباولينو كور مانييل، قائد الجيش الأبيض، جامبيلا، ٢٦ يناير ٢٠١٦.
٥. مقابلة كاتب الورقة لباولينو كور مانييل، قائد الجيش الأبيض، جامبيلا، ٢٦ يناير ٢٠١٦.
٦. مُقابلة كاتب الورقة لمُقاتِل من الجيش الأبيض، جامبيلا، ٢٩ يناير ٢٠١٦.
٧. مُقابلة كاتب الورقة لمُقاتِل من الجيش الأبيض، جامبيلا، ٣٠ يناير ٢٠١٦.
٨. مُقابلة كاتب الورقة لمُقاتِل من الجيش الأبيض، جامبيلا، ٣٠ يناير ٢٠١٦.
٩. مقابلة كاتب الورقة لديور توت، محافظ ولاية السوباط، جامبيلا، ٨ فبراير ٢٠١٦.
١٠. يُمكن العثور على عناصر الشرح التالي في)يونغ ٢٠٠٧ ب). وقد أُكِّدَت أيضًا من خلال العديد من المقابلات، ولكن الأكثر إفادةً كان لثلاثة زعماء: بيشوك جوني نيون، وجون جوني شول، وبين نيان؛ الذين أُجرِيت معهم المقابلات في جامبيلا في ٢٧ يناير ٢٠١٦.
١١. انتهى انتداب جاروث أخيرًا بسبب أن جيش ناصر الأبيض الخاضع لسُلطته هاجم قافلة من زوارق الأمم المُتحدة في نهر السوباط، كان يُعتقَد أنها تحمل أسلحة، ومُتنكِّرة في زورق يحمل الطعام إلى عشيرة لو، في وقت كانت فيه العشيرتان تتقاتلان. ولم يُغرِق الجيش الأبيض فقط الزورق المُشتبه في حمله الأسلحة، وإنما هاجم أيضاً وقتل الحُرَّاس من الجيش الشعبي لتحرير السودان. وبعد عزله من انتدابه، عُيِّن جاروث مستشارًا لحكومة أعالي النيل. وفي أعقاب عمليات القتل في جوبا، كان أحد أوائل القادة المحليين الذين عملوا على تعبئة أفراد عشيرته وقيادتهم في عدد من الهجمات، إلى أن عيَّنه رياك قائدًا أعلى. وقد عزله رياك من منصبه في يونيو ٢٠١٥ لانتقاده له علنًا في كنيسة في جامبيلا، فرحل إلى الخرطوم مع اللواء بيتر قديت وعدد من كبار المسؤولين السابقين في قوات دفاع جنوب السودان. وفي وقت لاحق انضم مرة أخرى للحكومة.
١٢. مقابلة كاتب الورقة لديور توت، مُحافِظ ولاية السوباط، جامبيلا، ٢٩ يناير ٢٠١٦.
١٣. مقابلة كاتب الورقة لديور توت، مُحافِظ ولاية السوباط، جامبيلا، ٢٩ يناير ٢٠١٦.
١٤. مقابلة المُؤلِّف لبانيديت كاواي جيومجيلكيم، مُدير مؤسسة الجيش الأبيض وأحد كبار مُقاتِلي الجيش الأبيض، جامبيلا، ٢٦ يناير ٢٠١٦.
١٥. مقابلة كاتب الورقة للفريق تسادكان جبري تساي، رئيس أركان سابق، الجيش الإثيوبي، أديس أبابا، ١٤ يوليو ٢٠٠٦.
١٦. مقابلة كاتب الورقة لجوردن نيوت، أحد كبار السن من عشيرة نوير– لو، جامبيلا، ٣١ يناير ٢٠١٦.
١٧. مقابلة المُؤلف لجوي جوك يول، أديس أبابا، ٢٢ يناير ٢٠١٦.
١٨. مقابلة كاتب الورقة للزعيم تشول جاتبل، القسم الفرعي، سي لانج، جيكاني الشرقية، جامبيلا، ١٢ فبراير ٢٠١٦.
١٩. مُقابلة كاتب الورقة لجوردون نيوت، شيخ نوير–لو، جامبيلا، ٣١ يناير ٢٠١٦.
٢٠. مُقابلة المُؤلف لمُقاتِل من الجيش الأبيض، ٥ فبراير ٢٠١٦.
٢١. أُعيدت عصا الكاهن نقون دينق، المعروفة باسم دانق، إلى جوبا في مايو ٢٠٠٩ بمعرفة البروفيسور دوغلاس جونسون، الذي سلَّمها إلى رياك ماشار، بعدما كانت السُّلطات الاستعمارية قد أخذتها إلى بريطانيا قبل ٨٠ عامًا.

٢٢. مقابلة كاتب الورقة لصمويل قووت، أحد كبار مقاتلي الجيش الأبيض وأحد قادة المجتمع من أوبل، أعالي النيل، جامبيلا، ١٠ فبراير ٢٠١٦. وعَزا صمويل العدد الكبير من المَرَّات التي انتقلت فيها مدن كبيرة في أعالي النيل من سيطرة الحكومة إلى قوات النوير، وعودتها مرة أخرى إليها، إلى نبوءات نغونديتغ.

٢٣. مقابلة كاتب الورقة لبول جاتكوث، أديس أبابا، ١٤ أبريل ٢٠١٥. أفاد بول أنه خلال هجوم الجيش الأبيض على ناصر في أغسطس ٢٠١٤، تلقّى قائد قريب منه اتصالاً من ريك ماشار حول العملية، وعندما سمع أن بول كان مشاركًا في الهجوم، طلب منه التحدُّث إليه.

٢٤. بينما أنكرت الحركة الشعبية لتحرير السودان – جناح المعارضة الاتهامات القائلة بأنها تُجنِّد صغار السِّنِّ في قواتها النظامية، أقرَّت بتجنيد مقاتلين من صغار السِّنِّ في الجيش الأبيض؛ انظر سودان تريبيون (٢٠١٤). يُقرُّ مقاتلو الجيش الأبيض بصورة روتينية بوجود مقاتلين يبلغون ١٥ عامًا بين عضويتهم، ولكنهم يزعمون أنهم يرفضون انضمام مَن هم أقل من ١٥ عامًا؛ لأنهم ليسوا أقوياء بما يكفي.

٢٥. مقابلة المؤلِّف لمقاتل من الجيش الأبيض، جامبيلا، ٣ فبراير ٢٠١٦.

٢٦. رغم التقارير المستمرة عن حالات نادرة لوجود نساء في الجيش الأبيض، فإن التحقيق الحالي لم يتمكَّن من مقابلة أي من أولئك النساء خلال العدد الكبير من المقابلات التي أُجريت، والتي أصرَّ الجميع فيها على عدم وجود نساء في الجيش الأبيض. ومن ثم، يجب رفض التأكيد السابق على ذلك (انظر Young, 2015).

٢٧. مقابلة كاتب الورقة لبور تشول، جامبيلا، ٤ فبراير ٢٠١٦.

٢٨. مقابلة كاتب الورقة لمجموعة من مقاتلي الجيش الأبيض في جيكاني الشرقية، جامبيلا، ٥ فبراير ٢٠١٦.

٢٩. مقابلة كاتب الورقة للزعيم تشول جاتبل، القسم الفرعي سي لانج، جيكاني الشرقية، جامبيلا، ١٢ فبراير ٢٠١٦.

٣٠. مقابلة كاتب الورقة لدوبل لوال، كبير مسؤولي الحركة الشعبية لتحرير السودان – جناح المعارضة، الذي شهد عددًا من معارك الجيش الأبيض في أعالي النيل، أديس أبابا، ١٩ فبراير ٢٠١٦.

٣١. مقابلة كاتب الورقة لمقاتل من جيكاني الشرقية، جامبيلا، ٢٨ فبراير ٢٠١٦.

٣٢. مقابلة كاتب الورقة لبول جاتكوث، جامبيلا، ٨ فبراير ٢٠١٦، فيما يتعلَّق به من جانب جاروث قبل الذهاب في معركة مع الجيش الأبيض.

٣٣. مقابلة كاتب الورقة لصمويل جاي مانيان، أحد كبار القادة في جيكاني الشرقية، جامبيلا، ٤ فبراير ٢٠١٦.

٣٤. مقابلة كاتب الورقة لموسى تشول، أحد كبار القادة في جيكاني الشرقية، جامبيلا، ٩ فبراير ٢٠١٦.

٣٥. مقابلة المُؤلف لصمويل جاي مانيان وباولينو كور مانييل، كبار قادة لو–نوير، جامبيلا، ٤ فبراير ٢٠١٦.

٣٦. مقابلة كاتب الورقة للقائد تشول جاتبل، القسم الفرعي سي لانج، جيكاني الشرقية، جامبيلا، ١٢ فبراير ٢٠١٦.